الجمال

في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

دكتور

الحسنين عبد الفتاح عبد الرحمن الشافعي خليف

أستاذ مساعد بكلية أصول الدين * جامعة الأزهر

٨٢٧

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم التنزيل: "..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا.."(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وصف نبيه بقوله: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"(٢) وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، شرح الله له صدرَه، ووضع عنه وزرَه، ورفع ذكرَه، وفضلّه على سائر الخلق أجمعين.

والسّلام على سَائر النبيين والمرسلين، الذين اصطفاهم الله وفضلهم على سائر الناس، فكانوا الخيرة من عباده، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي وصف دين الله الإسلام فقالﷺ: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)(٣).

والرضا والرضوان على الصحابة أجمعين، وعلى الخلفاء الراشدين، وعلى العشرة المبشرين، وعلى أمهات المؤمنين، ورضي الله عن عائشةَ أمِّ المؤمنين التي قالت في وصف خُلُق سيد النبيين، وإمام المرسلين، ورحمة الله للعالمين: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)(٤).

وبعد:

فإن الناظر في الْقُرْآن الْكَرِيم يجده قد اعتنى بقضايا معينة، وركّز عليها، وهذا دليل على عظم هذه القضايا وأهميتها، وقد غلب على طريقة الْقُرْآن الْكَرِيم بثّ الموضوع الواحد في مواضع متعددة، وتفريق القصة الواحدة في مواطن مختلفة، وقد اهتمّ العلماء بجمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد على طريقة مخصوصة؛ إيماناً منهم بأن الْقُرْآن الْكَرِيم حين يعرض لموضوعٍ ما؛ فلا بد أن يكون هذا الموضوع على درجة بليغة من الأهمية، وإدراكاً منهم أن الموضوع الواحد كالقصة الواحدة، حين تجمع أجزاؤه تكتمل عناصره، وتتضح معالمه.

وقد تأملت في موضوعات الْقُرْآن الْكَرِيم فلفت نظري حديثُ الْقُرْآن عن الجمال المادي والمعنوي، أعني عنايته بجمال الخلق والخُلق، وكانت له في ذلك أساليب مختلفة ومقاصد متعددة؛ لذلك رأيت أن أكتب في هذا الموضوع لما أرى من أهميته العظيمة وفوائده الجمة، والله المستعان.

أهمية الموضوع:

إن موضوعنا في هذا البحث هو الحديث عن: الجمَال في القرآن الكريم والذي يشمل جمال العقيدة والشريعة والمعاملات والأخلاق، وبيان أثره في حياة الإنسانية، وذلك في ضوء الْقُرْآن الْكَرِيم، والمقصود بالجمَال معناه الشامل الذي يعم القول والفعل والخلق والمظهر والنية.. إلخ، وقد سميت هذا البحث: {الجمَال في ضوء الْقُرْآن الكريم دراسة موضوعية}.

إن من بين ما يثير كوامن الحزن والألم في النفس، أن نجد بعضَ المسلمين اليوم قد أخذوا من الدين جانبَ

---

(١) سورة المائدة، آية ٣
(٢) سورة القلم آية ٤
(٣) صحيح البخاري ك. المناقب ب. خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ج٤ص/١٨٦، صحيح مسلم ك.الفضائل ب. ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ج٤صـ١٧٩١
(٤) صحيح مسلم ك. صفة المنافقين وصفرها ب. جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض ج١صـ٥١٢ بلفظ (فإنّ خُلُقَ نبيّ الله ﷺكان القرآن).

الجدّ الذي لا هوادة فيه، جانبَ الشدة والقوة، جانبَ العزائم، وراحوا يطبقون هذا الجانب من الإسلام بأسلوب لا يخلو من الشطط والزيغ؛ إذ نظروا إلى الإسلام على أنه دين العقوبات والحدود، دين المقاطعة والحروب؛ فقاطعوا المخطئ المسيء وعادوه؛ وعدّوا كل من خالفهم في وسائلهم وأساليبهم، وأفكارهم وآرائهم، مخالفاً للدين، أو متجاوزاً لحدوده، يستحق بذلك الهجر والمقاطعة، بل ربما تجاوزوا ذلك إلى التكفير.

وعلى الجانب الآخر نجد بعضَ المسلمين يرون الإسلام سهولةً مفرطة، وحريةً مطلقة، سهولة وحرية بلا ضوابطَ أو قيود أو حدود؛ لا يبالون بكثير من الأحكام، عقيدتهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فاستخفّوا بكلّ أمر، وتجرءوا على كل نهْي، وتعدوا كل حدّ.

وبين إفراط هؤلاء وتفريط أولئك شوهت حقيقة هذا الدين في أعين بعض المسلمين وفي أعين كثير من غير المسلمين، ومنيت بلاد الإسلام ببلية من أعظم البلايا وهي الانحراف عن سبيل الوسطية والاعتدال، وظهر من بين المسلمين وغير المسلمين من يرفعون عقيرتهم بالقدح طاعنين في ذلك الدين، متهمين أهله بالتطرف أو التميع، الأمر الذي دفعني إلى كتابة هذا البحث بياناً للحق، ودحراً للباطل.

إن الدين الإسلامي هو دين الوسطية والاعتدال في العقيدة والعبادة وسائر التكاليف، قال ﷻ: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا"(١) وإن عظمة هذا الدين لتكمن في وسطيته واعتداله، فهو كالطائر له جناحان لا يمكنه أن يحلق بأحدهما دون الآخر، هذان الجناحان هما جانب الجمال، وجانب الجلال.. وأبدأ البحث بجانب الجمال لأجل التمييز والتفصيل، ملحقا إياه بأخيه عاجلاً إن شاء الله، مستعينا بالله ﷻ، سائلاً ربي أن يوفقني ويلهمني السداد والرشاد؛ فهو وحده المرجو والمسئول، وبه الهداية والتوفيق، وعليه التوكل والاعتماد.

أهداف الموضوع:

أردت أن أحقق من هذا البحث الأهداف التالية:

* الكشف عن محاسن وجمال الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً.
* بيان مدى عناية الإسلام بالجمال المادي والمعنوي.
* إيضاح أن هذا الدين ليس مجرد تكاليف ومطالب، وأوامرَ ونواهٍ، وإنما هو_كذلك_مشاعر ونبضات وروحانيات، لها أثرها البالغ _حين تراعى_في بناء الإنسانية.
* تصحيح نظرة بعض الناس وفكرتهم تجاه موقف الإسلام من الجمال، وليبدو للعالم ذلك الوجه الجميل الأليف للإسلام ظهيراً للوجه الجليل المهيب.
* التأكيد على أن الوسطية من أهم مظاهر الجمال في ديننا؛ حيث لا إفراط فيه ولا تفريط، وأن الجمال والجلال_كليهما_وجهان مضيئان لهذا الدين.

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣

خطة البحث:

قد قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، كما يلي:

- **المقدمة:** وفيها أعرِّف بأهمية الموضوع وأهدافه، وخطة البحث.
- **التمهيد:** الجمال ومرادفاته في اللغة والقرآن، وفيه:

أولاً: التعريف بمصطلحات البحث:

١- تعريف الجمَال في اللغة والاصطلاح
٢- الألفاظ المرادفة للجمال في القُرْآن الكَرِيم

ثانياً: مقوّمات الجمال في القرآن الكريم

- **المبحث الأول:** {الإسلام بين الجمال والجلال} وفيه مطلبان:

المطلب الأول: امتزاج الجمال والجلال

المطلب الثاني: أثر إغفال جانب الجمَال والجلال في الإسلام

- **المبحث الثاني:** {الجمال في القرآن} وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الله ﷻ جميل

المطلب الثاني: جمال الرسول ﷺ

المطلب الثالث: جمال الرسالة

المطلب الرابع: جمال الكون

المطلب الخامس: عناية الإسلام بتجميل الإنسان ظاهراً وباطناً

- **الخاتمة:** وفيها ذكرت أهم ما توصلت إليه من نتائج.

والله أسأل الله أن يشرح لي صدري، وأن ييسر لي أمري، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وبالله تعالى التوفيق،،

تمهيد

أولاً: التعريف بمصطلحات البحث

الجمال ومرادفاته في اللغة والقرآن

حين يطالع المسلم كتاب الله ويتدبره يجده حافلاً بلفظ الجمال ومرادفاته، وفي هذا التمهيد سنعرض بعض ألفاظ الجمَال ومرادفاته في القُرْآن الكَرِيم، ونبين معانيها في اللغة؛ حتى نكون على بينة من أمرنا حين نتعرض لهذا الموضوع، ثم نعرض بإيجاز شديد لمقومات الجمال في القرآن.

لفظ الجَمَال:

ورد الجمَال بلفظه ومعناه في عدد من المواضع في القُرْآن الكَرِيم وبيانه على النحو التالي:

وردت مادة (جمل) بألفاظ منها (جمال)، و(جميل) ومن ذلك قوله ﷻ: "ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون"(١)وقوله ﷻ: "فصبر جميل"(٢) وقوله ﷻ: "فاصفح الصفح الجميل"(٣) وقوله ﷻ: "واهجرهم هجرا جميلا"(٤) وقوله ﷻ: "فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً"(٥).

قال الفيروزآبادي: وردت هذه المادّة في القُرْآن الكَرِيم على وجوه، منها:

- بمعنى المحاسنة والمجاملة: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}.
- وبمعنى الصَّبر بلا جزاء {فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً}.
- وبمعنى مقاطعة الكفَّار على الوجه الحسن {وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً}.
- وبمعنى إطلاق النِّساء على الوجه الجميل {وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً}.
- وبمعنى الحُسْن والزِّينة {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ}(٦).

وقال الأصفهاني: (الجمال): الحسن الكثير، وذلك ضربان:

أحدهما: جمال يختص الإنسان به في نفسه أو بدنه أو فعله.

والثاني: ما يوصل منه إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما روى عنه ﷺ أنه قال: (إن الله جميل يحب الجمَال)(٧)تنبيهاً على أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة فيحبّ من يختصّ بذلك(٨).

---

(١) سورة النحل، الآية ٦
(٢) سورة يوسف، الآية ٨٣
(٣) سورة الحجر، الآية ٨٥
(٤) المزمل، الآية ١٠
(٥) سورة الأحزاب، الآية ٤٩
(٦) بصائر ذوي التمييز ج١ صـ٦١٩
(٧) صحيح مسلم ك.الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ج١صـ٩٣
(٨) المفردات في غريب القرآن ج١صـ٩٧

من مرادفات لفظ الجمال في القُرْآن الكَرِيم

١ - لفظ الحسن:

وردت مادة (حسن) في القُرْآن الكَرِيم بألفاظ منها: (حسن) و(أحسن) و(حسنة)، ومن ذلك قوله ﷻ: "لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ.."(١).

قال الأصفهاني: الحُسْن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسّ...والحَسَنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها، وقوله ﷻ: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)(٢) أي خصب وسعة وظفر.. وأكثر ما جاء في القُرْآن الكَرِيم من الحسن فللمستحسن من جهة البصيرة، وقوله ﷻ: "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.."(٣)أي: الأبعد عن الشبهة، وقوله ﷻ: "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا"(٤) أي: كلمة حسنة(٥).

٢ - لفظ الزينة:

وردت مادة (الزينة) في القُرْآن الكَرِيم بهذا اللفظ، ومنه قوله ﷻ: "قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى"(٦) وقوله ﷻ: "ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم"(٧) وقوله ﷻ: "اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم"(٨) وقال ﷻ: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد"(٩)وقال ﷻ: "فخرج على قومه في زينته" وقال ﷻ: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة"(١٠).

قال في البصائر: الزِّينة: ما يُتزيَّن به، وكذلك الزِّيان. والزَّين: ضدّ الشَّين، وقمرٌ زَيَّانٌ: حَسَنٌ، وامرأةٌ زائن: متزيّنة... والزِّينة في الحقيقة: ما لا يَشين الإنسانَ في شيءٍ من أحواله، لا في الدُّنيا ولا في الآخرة. فأمّا ما يزينه في حالة دون حالة فهو من وجهٍ شَيْن.

والزِّينة بالقول المجمل ثلاث:

- زينة نفسيّة؛ كالعلم والاعتقادات الحسنة.
- وزينة بدنيَّة، كالقوّة وطول القامة وتناسب الأعضاء.
- وزينة خارجيّة؛ كالمال والجاه.

وقوله ﷻ: "حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ"(١١) هو من الزينة النفسيّة، وقوله: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٢
(٢) سورة النساء، الآية ٧٨
(٣) سورة الكهف، الآية ٢
(٤) سورة البقرة، الآية ٨٣
(٥) بصائر ذوي التمييز(بصيرة في الحسن ج٢صـ٤٦٤)، المفردات في غريب القرآن ج١صـ١١٨.
(٦) سورة طه، الآية ٥٩
(٧) سورة طه، الآية ٨٧
(٨) سورة الحديد، الآية ٢٠
(٩) سورة الأعراف، الآية ٣١
(١٠) سورة النحل، الآية ٨
(١١) سورة الحجرات، الآية ٧

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ.."(١) حُمِل على الزِّينة الخارجيَّة، وقوله: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ"(٢) هي الزينة الدّنيوية: من الأثاث والمال والجاه، وقوله: "وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ"(٣)، "إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ"(٤)، "وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ"(٥) إشارة إلى الزِّينة المدركة بالبصر للخاصّة والعامّة، وإلى الزينة المعقولة الَّتي تعرفها الخاصّة، وذلك إحكامها وسيرها(٦).

٣-لفظ البشارة:

وردت مادة (بشر) في القُرْآن الكَرِيم بألفاظ منها: (بشير) و(مبشر) و(بشرى).

والبشارة تعنى الجمَال والحسن ويحكم بها على الإنسان فيقال: رجل بشير وامرأة بشيرة؛ ولكن هذا الحكم لا ينطبق على أعضاء الإنسان، بل يقتصر الحكم به على الوجه، فيقال: (وجه بشير) أي حسن، ويتحقق الحسن فيه عندما ينبسط الإنسان بسبب السرور؛ فتظهر آثار ذلك الانبساط في بشرة الوجه.

قال صاحب البصائر: قد ورد في القُرْآن الكَرِيم على أوجهٍ:

فـ[البشير] في ثلاثة مواضع.. و[بشرى] في ثلاثة..و[التبشير] في أربعة مواضع..و[المبشِّر] في ثلاثة مواضع.

ويقال: أبشر الرّجلُ أي وجد بشارة؛ نحو أبقل، وأمحل: "وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ"(٧).

وقول ابن مسعود: من أحبّ القُرْآن الكَرِيم فليَبْشَر (أي فليُسَرّ) يقال بشرته مبشير؛ نحو جبْرته فجبر.

وقال ابن قتيبة: هو من بشرت الأديم إذا رقّقت وجهه. قال ومعناه: فليضمِّر نفسه.

وتباشير الوجه: ما يبدو من سروره. وتباشير النخل: ما يبدو من رُطَبه، ومن الصّبح: ما يبدو من أوائله(٨).

٤- لفظ البهجة:

وردت مادة (بهج) بألفاظ، منها (بهجة) و(بهيج)، والبهجة: تعني الجمَال والحسن والطلاوة والنضارة والسرور، وحسن لون الشيء ونضارته وقيل: إنها في النبات النضارة، وفي الإنسان ضحك أسارير الوجه أو ظهور الفرح ويحكم بهذا المفهوم على المنظر فيقال في حسن المنظر: رأيت منظراً بهيجاً، كما يحكم به على الإنسان فيقال: رجل ذو بهجة، أي حسن، وامرأة بهجة وهي مبهاج قد غلبت عليها البهجة والحسن، ويحكم به أيضاً على النبات، فمعنى قوله ﷻ: "مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"(٩) أي من كل ضرب من النبات حسن ناضر.

وقال الراغب: البهجة حسن اللون وظهور السرور، وفيه قال ﷻ: "حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ"(١٠) وقد بهج فهو بهيج(١١).

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٢

(٢) سورة القصص، الآية ٧٩

(٣) سورة فصلت، الآية ١٢

(٤) سورة الصافات، الآية ٦

(٥) سورة الحجر، الآية ١٦

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي(بصيرة في الزين ج٣صـ١٥٥)، المفردات في غريب القرآن ج١صـ٢١٨.

(٧) سورة فصلت، الآية ٣٠

(٨) بصائر ذوي التمييز(بصيرة في البشير، والبشرى، والمبشر)ج٢صـ٢٠٦.

(٩) سورة الحج، الآية ٥

(١٠) سورة النمل، الآية ٦٠

(١١) لسان العرب لابن منظور ج٢صـ٢١٦.

د- لفظ الزهرة:

وردت كلمة (زهرة) في قوله ﷻ: "وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.."(١) و"زهرَةَ الْحَيَاة الدُّنْيَا": بَهْجَتَهَا وَبُهْرُجَهَا؛ شَبَّهَ الدنيا بجمالِ الزَّهْرَةِ الَّذِي يبدو بَهِيجًا، ثم لا يَلْبَثُ أن يَذْبُلَ وَيَضْمَحِلَّ، فالزهرة تعنى الحسن والضياء والصفاء والبياض، ويتحقق مفهوم الزهرة بمعنى الحسن حين يكون الشيء أبيض مضيئاً صافياً؛ لذلك قيل رجل زاهر وأزهر، وهو الأبيض المضيء الوجه كما يزهر النجم أو السراج، وقيل: هو الأبيض الذي فيه حمرة. وهو ينطبق على الرجل والمرأة، وذكر اللغويون أن الزهرة نور كل نبات؛ والزاهر الحسن من النبات؛ والأزهر؛ المشرق من الحيوان والنبات؛ وزهرة الدنيا حسنها وزينتها وبهجتها ونضارتها(٢).

٦- لفظ النضارة والنضرة:

وردت مادة (نضر) في القُرْآن الكَرِيم بلفظ (نضرة)، و(ناضرة)، وهو يدل على الجمَال والحسن والرونق والبريق ونعيم الوجه وحسنه، وحسن اللون، ويغلب إطلاقه بهذا المفهوم على الوجه؛ ففي القُرْآن الكَرِيم: "وجوه يومئذ ناضرة"(٣) أي مشرقة بالنعيم، وقال ﷻ: "تَعْرِفُ في وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ"(٤) وقال جل شأنه: "فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا"(٥).

قال الفيروزآبادي: النَّضْرَةُ: الحُسْنُ والرَّوْنَقُ، وقد نَضَرَ وَجْهُه يَنْضُرُ نَضْرَةً، أي حسُنَ.

وقال الراغب: نضر: النضرة الحسن كالنضارة، و(نضرة النعيم) أي رونقه، "ولقاهم نضرة وسرورا" ونضر وجهه ينضر فهو ناضر، وقيل: نضر ينضر، "وجوه يومئذ ناضرة" ونضر الله وجهه، وأخضر ناضر: غصن حسن، والنضر والنضير الذهب لنضارته، وقدح نضار خالص كالتبر، وقدح نضار بالإضافة متخذ من الشجر(٦).

٧- لفظ التسوية:

وردت مادة التسوية بألفاظ، منها: (سوى) و(سوياً) ومنه قوله ﷻ: "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي"(٧) وقال ﷻ: "أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً"(٨) وقال جل شأنه: "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ"(٩)، وقال ﷻ: "ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى"(١٠) وقوله: "بشرا سويا"(١١) فـ"سوَّاك": أي جعل أعضاءك سوية سليمة معدة لمنافعها، بحيث يترتب على كل عضو منها منفعته التي خلق لأجلها، كالبطش لليد والمشي للرجل والتكلم للسان والإبصار للعين والسمع للأذن، إلى غير ذلك.

---

(١) سورة طه، الآية ١٣١
(٢) لسان العرب لابن منظور ج٤صـ٣٣١.
(٣) سورة القيامة، الآية ٢٢
(٤) سورة المطففين، الآية ٢٤
(٥) سورة الإنسان، الآية ١١
(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي بصيرة في(نضر ونطح) ج٥صـ٧٦.
(٧) سورة الحجر، الآية ٢٩
(٨) سورة الكهف، الآية ٣٧
(٩) سورة السجدة، الآية ٩
(١٠) سورة القيامة، الآية ٣٨
(١١) سورة مريم، الآية ١٧

قال الماوردي: التسوية تحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: سوى خلقك وعدل خلقتك.

الثاني: سوّى أعضاءَك بحسب الحاجة وعدلها في المماثلة لا تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل.

الثالث: سواك إنساناً كريماً وعدل بك عن أن يجعلك حيواناً بهيماً(١).

٨- الطيب:

قال ابن منظور: الطَّيِّبُ خلاف الخَبيث..يقال: أَرضٌ طَيِّبة للتي تَصْلُح للنبات وريحٌ طَيِّبَةٌ إِذا كانت لَيِّنةً ليست بشديدة وطَعْمة طَيِّبة إِذا كانت حلالاً وامرأَةٌ طَيِّبة إِذا كانت حَصاناً عفيفةً، ومنه قوله ﷺ: "والطيباتُ للطَّيِّبين"(٢) وكَلمةٌ طَيِّبة إِذا لم يكن فيها مكروه وبَلْدَة طَيِّبة أَي آمنةٌ كثيرةُ الخير ومنه قوله ﷺ: "بَلْدَة طَيِّبة ورَبٌّ غَفُور"(٣) ونَكْهة طَيِّبة إِذا لم يكن فيها نَتْنٌ وإِن لم يكن فيها ريح طَيِّبة كرائحةِ العُود والنَّدِّ وغيرهما ونَفْسٌ طَيِّبة بما قُدِّرَ لها أَي راضية وحِنْطة طَيِّبة أَي مُتَوَسِّطَة في الجَوْدَةِ وتُرْبة طَيِّبة أَي طاهرة ومنه قوله ﷺ: "فَتَيَمَّمُوا صَعيداً طَيِّباً"(٤) وطعامٌ طَيِّب للذي يَسْتَلِذُّ الآكلُ طَعْمه(٥).

وقال الفيروزآبادي: الطَّيِّب: ما يستلذُّه الحواسّ من الأَطعمة والأَشربة وغيرها، قال ﷺ: "كُلُواْ مِمَّا في الأرض حَلاَلاً طَيِّباً"(٦)، أَى من المباحات المأكولة والمشروبة، ونحوقوله ﷺ: "كُلُواْ مِنَ الطيبات"(٧) أي من الحلال.. وقوله: "والطيبات للطَّيِّبين"، تنبيه أَن الأَعمال الطيِّبة تكون من الطيّبين..وقوله: "وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الخبيث بالطيب"(٨)، أي الأَعمال السيِّئة بالأَعمال الصالحة، وقوله: "وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً"(٩) أي طاهرة زكيّة مستلذّة، وقوله: "بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ"، قيل: إِشارة إِلى الجنَّة وإِلى جِوار ربّ العالمين، وقوله: "والبلد الطّيب يَخْرُجُ نَبَاتُهُ"(١٠) إِشارة إِلى الأَرض الزكيّة، وقيل: إِشارة إِلى نفس المؤمن وكلمة الشهادة..و"طوبى لَهُمْ"(١١) قيل: اسم شجرة في الجنَّة معروفة. وقيل: بل إِشارة إِلى كلّ مستطاب في الجنَّة.(١٢)

---

(١) تفسير المراغي ج٣٠صـ٦٥.
(٢) سورة النور، الآية ٢٦
(٣) سورة سبأ، الآية ١٥
(٤) سورة النساء، الآية ٤٣
(٥) كتاب لسان العرب لابن منظور ـ ب طيب ج١صـ٥٦٣
(٦) سورة البقرة، الآية ١٦٨
(٧) سورة المؤمنون، الآية ٥١
(٨) سورة النساء، الآية ٢
(٩) سورة التوبة، الآية ٧٢
(١٠) سورة الأعراف، الآية ٥٨
(١١) سورة الرعد، الآية ٢٩
(١٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي، بصيرة في(طيب)ج٣صـ٥٣١، لسان العرب لابن منظور ج١صـ٥٦٤.

ثانياً: مقومات الجمال في القرآن الكريم

نستنبط من مقومات الجمال مما ورد في القرآن ما يلي:

- الإتقان: وهو الإتيان بالشيء على أحسن حالاته من التمام والكمال والإحكام.

قال الله جل شأنه: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ"(١) وقال سبحانه: "صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ"(٢) أي: خلق كل شيء في غاية الإتقان والدقة وعلى أفضل ما يكون.

- السلامة من القصور والخلل: وهو المعبر عنه بالتفاوت، وحقيقته عدم التناسب والانسجام.

قال تعالى: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ"(٣) أي: ما ترى في خلق الله من اختلاف أو اضطراب أو تناقض في الخلقة، إنما هي مستوية ومستقيمة.

- التناسق والتوازن والتناغم في الأداء: والمقصود بهذا التناسق والتوازن الدقة والنظام في هذا الكون الهائل، وأنه يسير بترتيب في أسمى درجات الدقة، وحسن التنظيم.

قال سبحانه: "لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"(٤) وقال عز وجل: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"(٥).

- التنوع: حيث إن اختلاف الألوان والمناظر والمقادير والهيئات وغير ذلك فيه الدلالة القاطعة على أن الله جل وعلا واحد، لا شبيه له ولا نظير ولا شريك، وأنه المعبود وحده وأنه مبدع هذا الكون.

قال عز من قائل: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ"(٦) وقوله" وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"(٧). فهذه بعض مقومات الجمال حيث استنبطناها من القرآن الكريم.

(١) سورة السجدة، الآية ٧
(٢) سورة النمل، الآية ٨٨
(٣) سورة الملك، الآية ٣
(٤) سورة يس، الآية ٤٠
(٥) سورة الذاريات، الآية ٤٩
(٦) سورة الروم، الآية ٢٢
(٧) سورة الرعد، الآية ٤

المبحث الأوّل

الإسلام بين الجلال والجمال

مدخل:

لما كان ربنا ﷻ متصفاً بصفات الجمال والجلال، فقد فاضت صفات ومعاني الجمَال والجلال على دين الله ومنهجه، وشرائعه وأحكامه؛ وامتزج الجمَال والجلال امتزاجا كان له أعظم الأثر في تشكيل وسطية هذا الدين، ولو أن أحد هذين الجانبين طغا أو أغفل لكان نذير خطر مستطير، يقول الشيخ الشعراويّ: لله ﷻ صفات جلال وصفات جمال، صفات الجلال هي "الجبار والقهار والمتكبر والقوي والقادر والمقتدر والضار" وغيرها من صفات الجلال، فالله ﷻ يريدنا أن نجعل بيننا وبين صفات الجلال وقاية حتى لا نغضب الله، فيعاملنا بمتعلقات صفات جلاله، وأن نتمسك بصفات جمال الله: الرحيم الودود، الغفار، التواب، فإذا نجحنا في ذلك كان لنا نجاة من النار التي هي أحد جنود الله، ومتعلقات جلاله..فمن اتقى صفاتِ جلال الله أخذ صفاتِ جماله[1].

المطلب الأول

امتزاج الجمال والجلال

الذي أراه طبعياً في ميزان الإسلام ومقياس الخلق القويم أن يكون العزيز متواضعًا، والحازم رحيماً، والجميل مهيباً، كما أنه من الطبعيّ أن يكون المتواضع عزيزًا، والرحيم حازماً، والمهيب جميلاً، ففي مواقف الجلال تُلمس روعة الجمَال، وفي مواطن الجمَال تُلمس عظمة الجلال، كما قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً .. فليقس أحيانا على من يرحمُ

وقد امتزج الجمَال والجلال في شخص الرسول ﷺ في مظهره وأفعاله وأقواله، وكان مِنْ أخْلاقِه وآدابه التي أُمِر بها القَصْد في الأمور، وخَيْر الأمور أوْساطُها، وكِلاَ طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمورِ بالمبالغة ذَميمُ؛ فمع رفقه ولينه وحلمه فقد كان قويًّا شجاعًا مهابًا، رآه رجلٌ يوم الفتح فارتعدت فرائصه من هيبته؛ فقال له: (هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ)[2].

ونحن نرى امتزاج الجمَال والجلال في أخلاق ديننا وتعاليمه؛ فالإسلام إذ يحث أتباعه على العزة يطلب منهم أن يكونوا في قمة التواضع مع إخوانهم، للدرجة التي عبَّر فيها عن التواضع بلفظ الذلة، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[3]، كما قال ﷻ: "مُحَمَّدٌ

---

(١) تفسير الشعراوي٢/ ٦ بتصرف يسير.

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" ٣/ ٤٧ - ٤٨ وصححه، وأقره الذهبي.

(٣) سورة المائدة: الآية٥٤

رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ"[1] وفي ذلك توجيه للمؤمن إلى ما ينبغي أن يكون عليه من العزة والترفع والأنفة والشدة مع غير المسلمين، بخلاف ما ينبغي أن يكون عليه من الذلة والتواضع واللين والرحمة مع المسلمين.

وقد برز الجمال في عدة مواضع للجلال منها: أن النبيﷺ يقول: "إِنِّي لَأَدْخُلُ في الصَّلَاةِ وأنا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ في صَلَاتِي، مِمَّا أَعْلَمُ لِوَجْدِ أُمِّهِ بِبُكَائِهِ"[2]، فمع عظمة الصلاة وجديتها وجلالها إلا أنهﷺ الذي علمنا كيف نخشع في الصلاة، وكيف نتجنب انشغال القلب أثناء الصَّلاة إذ به يأخذه جانب الجمال من الرقة والرحمة والعطف على طفل وأمه وهو في موطن الجلال المهيب العظيم هذا، وهو في مناجاته، في صلاته، التي ينفصل مع دخول وقتها عن كل من حوله (فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه) فيتجوّز في الصلاة؛ رحمة بالصبي وأمه، وروى شداد بن الهاد قال: "خرج علينا رسول اللهﷺ في إحدى صلاتي العشاء، وهو حامل حَسَنًا أو حسينًا، فتقدم رسول اللهﷺ فوضعه ثم كبَّر للصلاة فصلّى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبيّ: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول اللهﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال: (كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ)[3] فهذه مواقف جلال لأنها في شأن الصلاة ومع ذلك لم يخف جانب الجمال فيها.

ومن مواقف امتزاج الجمال بالجلال في الشريعة أنه في الطلاق يطلب الفضل والإحسان، والعفو والتجاوز، قال اللهﷻ: "وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[4] فمع جدية الموقف وصعوبته لما فيه من الطلاق والفراق إلا أن اللهﷻ ينهانا عن نسيان الفضل والعشرة، التي تستدعي الإكرام والإحسان، فهذا موقف جلال بزغ منه جمال.

وفي الذبح تُتَطلَّب الرحمة، عن رسول اللهﷺ: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[5]، فهذا أيضا من مواقف الجلال لأنه في شأن الذبح لكن لم يفتقد فيه الجمال.

ومن مواقف بزوغ الجمال من بين ثنايا الجلال قوله ﷻ: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[6]، وأيضا قوله ﷻ: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ

---

(١) سورة الفتح، الآية٩.

(٢) صحيح البخاري ك.الأذان ب. من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ج١ صـ١٤٣،

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ صـ ١٨١، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٣٧.

(٥) صحيح مسلم ك. الصيْد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ب. الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة ج ٣ صـ ١٥٤٨

(٦) سورة النور، الآيتان ٤ - ٥.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[1]، فهذه مواضع جلال لأنها في شأن الحدود ومع ذلك رأينا الجمَال يبزغ فيها.

بل إننا لنرى الجمال في مواطن القتال الذي هو غاية الجد والحزم، بل القسوة والشدة، فإذا بالإسلام يطالب الإنصاف وعدم الجور وعدم قتل النساء والصبيان، قال ﷻ: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[2] وقال ﷻ: "فَلَا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ"[3]، وقد ورد النهي صريحاً عن قتل النساء والصبيان في الجهاد والقتال والغزو، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (إن امْرأة وُجِدت في بعض مغازي النبيﷺ مقتولة، فأنكر رسول اللهﷺقتل النساء والصبيان)[4]، فهذه مواضع أخرى من مواضع الجلال لأنها مواضع قتال إلا أنها لم يخفَ فيها الجمَال.

وقال ﷻ "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ"[5] فالعقاب جلال، ولكن يبزغ منه جمال؛ حيث يأمرناﷻ بعدم التعدي إلا بالمثل ثم يقول: "وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ" فمن بين جوانب الجلال يبزغ الجمَال. وحتى في الحدود التي هي موت وفناء يعبر عنها القرآن مراعيا المقصد منها فيقول: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ.."، وفي نفس الأمر المهيب الرهيب الجليل يدعو إلى العفو، فيفرض القصاص، ولا يمنع العفو، بل يحض عليه، في تعبير رقيق"..كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى.."مع قوله: "..فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ.."[6].

وسأل رجلٌ عائشةَ: أكان رسول اللهﷺ يعمل في بيته؟ قالت: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ)[7] فمع ها التعاون والجمَال إلا أنهﷺ إذا حضرت الصلاة هبّ إليها بكل تعظيم وإجلال. فتواضعه مع أهله جمال إلا أنه حين حضرت الصلاة وجدناهﷺ يهبّ إليها في موقف جلال.

ومع الرقة التي كان يتصف بها أبو بكر الصديق ﷺ حتى إنه لتأخذه العبرة وهو يقرأ لم تمنعه من أن يقول بقوة يوم وفاة رسول اللهﷺ(أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ)[8]، ومع ما عرف عن أبي بكر من الرقة والحنان والعطف إلا أنه قاتل من منعوا الزكاة وقال: (وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا)[9]، فمع رقته ﷺ إلا أنه لا يرضى أن ينتهك حد من حدود الله. فهذه أيضا من مواضع الجمَال التي لم يفتقد فيها الجلال والقوة.

---

(١) سورة المائدة، الأيتان ٣٨ - ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية٣٣.

(٤) صحيح البخاري ك. الجهاد والسّير ب. قتل الصبيان في الحرب ج٤ صـ٦١، وصحيح مسلم ك. الجهاد والسّير ب. تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ج٣ صـ١٣٦٤.

(٥) سورة النحل، الأية.

(٦) سورة البقرة، الأية.

(٧) صحيح البخاري ك. الأذان ب. من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، ج١ صـ١٣٦.

(٨) صحيح البخاري ك. الجنائز ب. قول النبي ﷺ (لو كنت متخذا خليلا) ج٣ صـ١٣١٤.

(٩) صحيح البخاري ك. استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ب. قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة ج٢ صـ١١٨.

ومن مواقف ظهور الجلال والجد من بين ثنايا ومظنة الجمَال والرقة والعطف ما ورد عن أبي هريرة قال: قَالَ: "أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَأَدْخَلَهَا في فِيهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّﷺ: كِخْكِخْ أَلْقِهَا أَلْقِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ"[1] فمع حبهﷺ لحفيديه ورحمته بهم إلا أنه لم يتهاون في حق من حقوق الله.

ولسنا في حاجة إلى براهين أكثر على هذه الحقيقة التي يتصف بها ديننا الحنيف، ففي مواقف الجلال يُلمس الجمَال ويستشعر، وفي مواقف الجمال يُرى الجلال ويستعظم، هذه هي حقيقة الدين العظيم وطبيعته وأصله، فيما غفل كثير من الناس عن هذا المعنى الكبير؛ ألا فليتبنه المسلمون إلى أن دينهم العظيم يتميز بكونه جامعاً بين العزائم والرخص، بين الترغيب والترهيب، بين العقوبة والثواب، بين النذارة والبشارة، بين المؤاخذة والتماس الأعذار.

وإذا كنا قد بينا أن الإسلام متكاملٌ بجانبيه(جانب الجلال وجانب الجمَال) فإننا بعد هذا نبين أن بحثنا هذا قاصرٌ على الحديث عن أحد هذين الجانبين فقط، وأننا سوف نخص جانب الجمَال بالحديث؛ كما نوضح أن بين جانبي الجلال والجمَال منطقة رحبة واسعة، هي منطقة وُسطى تستوعب الجانبين وتوازن بينهما، مع بيان الأثر العظيم والخطر العظيم على من لم يدرك هذا ويتقنه ويتفهمه، فنفرد هذا الجانب ليخرج بالوصف اللائق به، ثم نلحقه بالآخر قريباً إن شاء الله ﷻ.

(١) شرح معاني الآثار ج٢صـ٩.

المطلب الثاني

أثر إغفال جانب الجمال والجلال في الإسلام

لا شكّ أنّ كلّ إنسان سويّ ينبغي أن يجمع بين صفات القوة واللين، وكذلك كل منهج قويم، ينبغي أن يراعى فيه هذا وذاك؛ فهناك أمورٌ لايجوز التهاون فيها؛ فيؤاخذ مرتكبها بكل حزم وقوة، وأمورٌ أخرى أخفّ وأسهل، هي مواطن الإباحة والتخيير؛ والرخصة والتيسير؛ فيراعى فيها اللطف والتوسع، والعذر والتخفيف؛ فإن وقع خلط بين هذا وذاك؛ فلم يراع التيسير، وحسن اللياقة والذوق، والتجمّل ومراعاة أحوال الناس في الدعوة وسائر شئون الحياة وقع التعنت، وحدث الشقاق؛ ولو لم تؤخذ العزائم بما ينبغي أن تؤخذ به من العزم والجد؛ وقع الهوان وعمت الفوضى.

لكن بعض الدعاة والوعاظ في هذا العصر وفي غيره قد غلب على منهجهم وأسلوبهم جانبُ اللين والتساهل وتتبُّع الرخص؛ فضيعوا بهذا معالمَ عظيمة من مبادئ هذا الدين، وأهدروا كثيرًا من الحقوق و الواجبات.

وعلى النقيض دأب قوم على التشدد والقسوة، ونزعوا إلى الغلوّ في الدين، ومالوا إلى التطرف والعنف؛ لا يلتمسون لمن خالفهم عذراً، يكفّرون من خالفهم كأنهم يشقون عن القلوب، وبهذا نفروا الناس من تعاليم الإسلام، وكانوا خوارج على تعاليم هذه الشريعة السمحاء الغراء.

أولاً: أثر إغفال جانب الجمال في الإسلام

إنّ آفة بعض الشباب-لا سيما في زماننا هذا-أنهم لم يعرفوا الإسلام حق المعرفة، فظنوا أن الالتزام في التشدد، بل اعتبروه تقربًا إلى الله وتعمقًا في الالتزام، وحسبوا أن الاستمساك بالدين بمثله تنطعهم وتقعرهم حتى بغّضوا الالتزام بتعاليم الدين (الذي شوّهوه) إلى كثير من الناس، وشاعت تصرفاتهم وسلوكياتهم هذه، وكأنها هي الإيمان والتدين والتقوى، وهم في كثير من أحوالهم ومسالكهم إنما يسقطون في التنطع المهلك الذي نهى الله عنه في قوله ﷻ: "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ"[1] أي: وما أنا من المتكلفين فأتَخَرَّص وأتكلف ما لم يأمرني الله به، أو المتصنعين المتَحَلِّين بما ليسوا من أهله. كما أمرنا رسولهﷺ بالبعد عنه؛ لأنه باب الهلاك؛ حيث قال رسول اللهﷺ: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا. قال الإمام النووي رحمه الله: (المتنطعون) أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، والهلاك: ضد البقاء؛ يعني أنهم تلفوا وخسروا[2] وهذا إما على سبيل الدعاء عليهم، أو الإخبار عما يئول إليه حالهم.

وهذه الآفة هي ما أطلق عليه البعض مصطلح(أنصاف المثقفين)؛ حيث وقف بعض هؤلاء على بعض النصوص، وعلى بعض معانيها ودلالاتها؛ فصار لديهم جرأة عظيمة على الكلام في الدين، لا سيما من كان منهم طلقاً في الكلام، وتصوروا أنهم ملكوا كل الحقيقة، فصالوا وجالوا، وخطّئوا من سواهم، وحقّروا العلماء

(١) سورة ص، الآية٨٦.

(٢) صحيح مسلم باب هلك المتنطعون ج٤ صـ٢٠٥٥، شرح النووي على صحيح مسلم ج١٦ صـ٢٢٠.

لمَّا خالفوهم، فإذا رأيتهم رأيتهم يبالغون في العبادة والعمل، وسائر مظاهر الإسلام، من ملبس ولحية، ونحوه، كمثل النفر الذين تقللوا عبادة سيد الخلق، وكأن هؤلاء هم الذين عناهم الرسولﷺ بقوله: (لَوْ مُدَّ بِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالًا يَدَعُ المُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ، إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ)(١)، إن من التشديد في العبادة، أن يشدد الإنسان على نفسه في الصلاة أو في الصوم أو في غير ذلك مما يسَّره الله عليه، فإنه إذا شدَّد على نفسه فيما يسره الله فهو هالك.

وفي وسط هذا الجو من التزمت والانغلاق انطلقت الفتاوى والدعاوى، ولم ينج منها صغير أو كبير، ولا قريب ولا بعيد، ولا عالم بصير ولا رجل عامي بسيط، متدين بالفطرة، يسير في دينه وعبادته ومعاملته على التقليد المباح لأجلة العلماء، انطلقت هذه الفتاوى فنالت هؤلاء وأولئك، وكان من جملة هذه الفتاوى والادعاءات اتهام هؤلاء في دينهم، سلخهم من الدين، واعتبارهم من الكفرة الفجرة، ولم يراع في هذا وقارُ شيخ وعلمه، ولا كفاحُ والد وجهده وحرصه، ولا حنانُ أم وضعفها ورقتها، ولا بساطةُ عامي وتواضعه، رموا آباءهم وأمهاتهم وشيوخهم وجيرانهم وأصحابهم، لم تشفع لهم صلاتهم، ولا سائر عبادتهم، ولم يراع سنهم، ولا حسن معاملاتهم، طالما أنهم مخالفون لهم في الطريقة والرأي، لم يتحلوا بأدب في دعوتهم، ولا برحمة في مواجهتهم، ولا بلياقة في أساليبهم، بل اتسموا مع كل هؤلاء بالغلظة والفظاظة، والنقد والاعتراض، إن من أعظم آثار إغفال الجانب الجمَالي للإسلام خطرًا هو تنفير الناس من الدين والالتزام؛ وذلك بسبب الغلو والتشدد في الدعوة إليه وفي أسلوب عرضه على الناس، وإظهار شرائع الدين في صورة الجمود، خلافاً لما امتازت به من المرونة واليسر، وتشويه صورة المنتسبين للإسلام والملتزمين بتعاليمه، وافتقاد الغافلين عن الجانب الجمَالي للإسلام لسمة من أهم سمات هذا الدين الحنيف وهي الوسطية والاعتدال، وغلبة القسوة والعنف على سلوكهم مما يؤدي إلى سوء علاقتهم مع الأفراد والجماعات.

ثانياً: أثر إغفال جانب الجلال في الإسلام

إن من الناس مَن يأخذ من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى بعضاً ويترك بعضاً، حيث يأخذ هؤلاء اسم (الرحمن الرحيم العفو الغفور.. إلخ) ويتغافلون عن اسم(الله الملك القوي المتين شديد العقاب..)، بل إن بعض هؤلاء-كما تقدم-أطلقوا القول بأنه (لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة) وبعضهم يرفع شعاراً ظاهره فيه السلامة والصحة، وباطنه فيه الجهالة والمغالطة؛ حيث يرفع هؤلاء العبارة الدارجة: (ربُّنا هو ربُّ القلوب)؛ ومراد هؤلاء أن قلوبهم ما دامت طاهرةً ونقية ومؤمنة، ولا تحمل غلاً ولا كرهاً ولا حقداً على أحد؛ فلا يطالبون أو يحاسبون أو يحاكمون أو يلامون على مظاهر الدين من قول أو عمل، بالغة ما بلغت، ولو كانت صلاة أو زكاة أو حجاً، وربما كان ظاهرهم مخالفاً تماما لظواهر الإسلام، وبهذا لا يبقون للأعمال الصالحات قدراً أو قيمة في الدين؛ زاعمين أنهم على الحق وأن معتقداتهم القلبية صحيحة، وكذبوا فلو خشعت قلوبهم لخشعت جوارحهم، ولو صح اعتقادهم لحسن عملهم.

(١) صحيح البخاري ك.التمني ب. ما يجوز من الـ(لو) ج٩ صـ٨٥، وصحيح مسلم ك. الصيام ب. النهي عن الوصال في الصوم ج٢ صـ٧٧٥ واللفظ للبخاري.

إن الواقع يثبت أن الناس لا يمكن أن يكونوا كلهم أمة واحدة، لا في الطبيعة، ولا في الأخلاق، ولا في السلوك، فلا يخلو حال الناس من محسن ومسيء، طيب وخبيث، كريم ودنيء، ولعل هذا ما عناه الحديث الشريف: (إن الله قبض قبضة من كل الأرض؛ فجاء بنو آدم على قدر الأرض..)، ولما كان الخلق كلهم مجبولين على الخطأ، فـ (كل ابن آدم خطَّاء)، وكان الأمر يقتضي أن يئوب المخطئ إلى رشده، وأن يتوب عن ذنبه، ولكن هذا-في الواقع-ليس ديدن الجميع؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ في أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ)[1].

ولعل من أخطر ما يمكن أن يصيب الإنسان في حياته هو أن يفقد إحساسه بالخطأ، ويُحرَم الشعورَ بالذنب، ويصاب بالتبلد واللامبالاة، والكبر، والعناد والإصرار على الخطأ؛ فإذا به ينمادى في غيِّه، ولا يستجيب لنصح ناصح؛ لأنه لا يرى أحداً أعرف ولا أعلم منه، ثم إنه فوق هذا لا يقف مع نفسه وقفة صدق ومواجهة، فيصل إلى مرحلة يظن فيها أنه دائماً على حق، يبرر لنفسه كل فعل مستنكر بمبررات يستسيغها هو وحده؛ لأنه في نظر نفسه لا يخطئ أبداً، فإذا به يرى الباطل حقاً، والسوء حسناً، وفي هذا يقول الله ﷻ: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً.الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا"[2]، ويقول ﷻ: "أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا.."[3]، ومن ثم يضعف إيمانه، يقول النبي ﷺ: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[4]، إن الاستهانة بالمعاصي، والاستخفاف بالذنوب لبرهان واضح على ضعف المعرفة بالله والخشية منه، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات"[5].وإن الشيطان قاعد للإنسان بالمرصاد يوسوس له، ويلقي عليه الشبهات والأباطيل؛ ليضله عن سبيل الله، ويجعل سيره في هذه الطريق محفوفاً بالتضييع والتفريط، وحين يستجيب المسلم لهذه الوساوس، ويتبع تلك الشهوات يُبتلى بالاستهانة بالمحرمات وإذا وصل إلى هذه الحال فلربما سقط من عين الله ﷻ، كما قال بعضهم في أمثال هؤلاء: هانوا على الله فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، قال الله ﷻ: (وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ)[6]، وقد حذر النبي ﷺ من التهاون بالمحرمات فقال ﷺ: (إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه) وضرب لهن مثلا فقال: (كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل

---

(١) مسند البزار ج٥صـ٨١.

(٢) سورة الكهف، الأيتان١٠٣، ١٠٤.

(٣) سورة فاطر، الأية٨.

(٤) صحيح البخاري ك.المظالم والغصب ب. النُّهبَى بغير إذن صاحبه ج٣صـ١٣٦، صحيح مسلم ك.الإيمان ب. بيان نقصان الإيمان بالمعاصي..إلخ ج ١صـ٧٦ واللفظ البخاري.

(٥) صحيح البخاري ك. الرقاق ب.بابُ مَا يُتَّقى منْ مُحقَّرَاتِ الذُّنوبِ ج٨صـ١٠٣.

(٦) سورة الحج، الأية١٨.

يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً فأججوا نارا، وأنضجوا ما قذفوا فيها)[1].

المبحث الثاني

الجمال في القرآن

الجمال في القرآن الكريم يشمل كل ما ورد في القرآن الكريم عن الجمال لفظاً أو معنى، من جمال الخالق، ومما أفاء به على خلقه، على نحو ما ورد في الحديث المتفق عليه: (جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ..)[2]؛ ولذلك فإننا سنوجه العناية هنا إلى ما ورد من صور ومظاهر الجمال بالنسبة للخالق جل جلاله، وبالنسبة لخلقه مما أفاض به من واسع فضله وعظيم كرمه، كل بحسب ما يناسبه ويليق به، والله المستعان.

المبحث الأول

الله ﷻ جميل

حين نتحدث عن جمال إنسان فإنما نعني به جمال صورته وجمال خصاله وصفاته؛ أما بالنسبة للخالق جل جلاله_وله المثل الأعلى_فقد ورد في الصحيح إثبات صفة الجمال له، فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)[3]، ولكنني أعني بصفات الله الجميلة هنا ما يمكن أن يسطره قلمي ويستدل عليه، لا ما ليس بالوسع إدراكه، أو الوقوف عليه.

الله ﷻ موصوف بصفات الجمال والكمال:

إن الله ﷻ موصوف بصفات الجمال والجلال، يقول الشيخ الشعراوي: إن لله ﷻ صفاتِ جلال وصفاتِ جمال.. صفات الجلال تجدها في القهار والجبار والمذل..والمنتقم. والضار. كل هذا من متعلقات صفات الجلال.. بل إن النار من متعلقات صفات الجلال، أما صفات الجمال فهي الغفار والرحيم وكل الصفات التي تتنزل بها رحمات الله وعطاءاته على خلقه[4].

ونعني بصفات الله الجميلة عفوه ورحمته وفضله وكرمه وإحسانه... إلخ، ومما ورد من أسمائه الحسنى التي تفيض بمعنى الجمال: الرحمن الرحيم الحنان المنان الرزاق الستير البر التواب النور الودود الغفار الوهاب اللطيف العفو الشكور.. إلخ، وهذا كله ثابت نقلاً، كما في قوله عز شأنه عن نفسه: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.."[5]، وقوله عز جاهه: "إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا"[6]، وقوله : ﷻ "هُوَ

---

(١) مسند الإمام أحمد ج٦صـ٣٦٧.

(٢) صحيح البخاري، باب(جعل الله الرحمة مائة جزء)ج٨صـ٨، وصحيح مسلم، باب(في سعة رحمة الله ﷻ)ج٤صـ١٠٨

(٣) صحيح مسلم، باب(تحريم الكبر وبيانه)ج١صـ٩٣

(٤) تفسير الشعراوي ٦/ ٢

(٥) سورة النور، الآية ٣٥

(٦) سورة طه، الآية ٩٨

اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.."(١) فلنتأمل ولنتدبر بعضاً من مظاهر إبداعاته وجميل صفاته تذكراً وتذكيراً، وبالله التوفيق.

كتب على نفسه الرحمة:

من دلائل جماله أنه ﷻ كتب على نفسه الرحمة فضلاً منه على عباده وتكرما؛ لأنه ﷻ لا يجب عليه شيء، قال ﷻ: "..كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ.."(٢) قال الماوردي: فيه قولان: أحدهما: معناه أوجب الله على نفسه. والثاني: كتب في اللوح المحفوظ على نفسه(٣).

وقال ابن جزي: أي حتّمها وفي الصحيح: إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي. قال ﷻ: "..وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.."(٤) وقال عز من قائل ﷻ: "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا.."(٥)وكذلك كون رحمته تسبق غضبه كما ورد في الصحيح(٦).(٧)

تحريمه الظلم على نفسه:

ومن مظاهر جماله ﷻ تحريمه الظلم على نفسه، قال ﷻ: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"(٨)، "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"(٩)، "..وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ"(١٠)، "..وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ"(١١)، "وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا"(١٢) نفى الله ﷻ الظلم عن نفسه، قليله وكثيره، كما جاء في الحديث عن أبي ذر الغفاري: «يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّما، فلا تظالموا»(١٣) فهو الحكيم المالك، وما يفعله المالك في ملكه لا اعتراض عليه، إذ له التصرف في ملكه بما يريد(١٤).

خلقه للكون الجميل دليل على إبداعه:

قال ﷻ: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.."(١٥) فالله الخالق العظيم هو الذي أبدع خلقه كله، من ملائكة وإنس وجن وسماء وأرض وبحار وجبال ونبات وحيوان وجماد، أبدع الكون وما فيه؛ ولذلك كان هذا الكون دليلا، ليس فقط على قدرته، بل وعلى عظمته وإبداعه، فهو جل جلاله جميل يحب الجمال؛ "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.."(١٦)؛ وليس أدل على هذا من أنه لا يقدر أحد على مضاهاة صنعه"..صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ.."(١٧)،

---

(١) سورة الحشر الآيات ٢٢: ٢٤
(٢) سورة الأنعام، آية٥٤
(٣) النكت والعيون للماوردي، ج٢صـ١١٩
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٦
(٥) سورة فاطر، الآية ٧
(٦) صحيح البخاري،ك.التوحيد ب."وكان عرشه على الماء"ج٩صـ١٢٥
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٦٢/١
(٨) سورة فصلت، الآية ٤٦
(٩) سورة ق، الآية ٢٩
(١٠) سورة آل عمران، الآية ١٠٨
(١١) سورة غافر، الآية ٣١
(١٢) سورة طه، الآية ١١٢
(١٣) صحيح مسلم، ك. البرّ والصلة والآداب ب.تحريم الظلم ج٤صـ١٩٩٤
(١٤) التفسير المنير ج٢٤صـ٢٥١بتصرف يسير
(١٥) سورة البقرة، آية١١٧
(١٦) سورة السجدة، آية٧
(١٧) سورة النمل، آية٨٨

فحين نتأمل السماء وما فيها، والأرض وما عليها، حين نتأمل خلق الجبال والبحار والنبات، حين نتأمل خلق الحيوان، وحين

نتأمل خلق الإنسان؛ فإنه لا يسعنا إلا أن نقر ونعترف بما قال ربنا: "هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ.."(١).

يقول صاحب الظلال: هذه صنعته ﷻ في كل شيء. هذه يده ظاهرة الآثار في الخلائق. هذا كل شيء خلقه يتجلى فيه الإحسان والإتقان..كل شيء مقدر لا يزيد عن حد التناسق الجميل الدقيق ولا ينقص..كلها يتجلى فيها الإحسان والإتقان..ويتصل من وراء أشكال هذا العالم الفانية بالجمال الباقي المنبثق من جمال الصنعة الإلهية الأصيلة..ولا يدرك القلب شيئاً من هذا النعيم في رحلته الأرضية إلا حين يستيقظ من همود العادة..وإلا حين يبصر بنور الله فتتكشف له الأشياء عن جواهرها الجميلة كما خرجت من يد الله المبدعة. وإلا حين يتذكر الله كلما وقعت عينه أو حسه على شيء من بدائعه؛ فيحس بالصلة بين المبدع وما أبدع؛ فيزيد شعوره بجمال ما يرى وما يحس؛ لأنه يرى حينئذ من ورائه جمال الله وجلاله(٢).

والحديث عن جمال الكون الذي هو فيض من جمال خالقه وإبداعه مستوفى في موضعه من هذا البحث بإذنه ﷻ.

خلقه للإنسان في أحسن صورة دليل على إبداعه:

قال الله ﷻ: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"(٣) كرَّم الله الإنسان وخلقه في أحسن صورة، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، وتكفل برزقه، وأمده بوسائل الإدراك والعلم والمعرفة، بل علمه ما لم تبلغه الملائكة من العلم، وأنار له طريق الهدى بالوحي، كما قال ﷻ: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ.ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ.ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ"(٤) وقال "وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ"(٥) وقال سبحانه: "وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ"(٦) أي وخلقكم فأحسن خلقكم، إذ خلق كلا منكم منتصب القامة، بادى البشرة، متناسب الأعضاء، مهيأ لمزاولة الصناعات، واكتساب الكمالات، ورزقكم من طيبات المطاعم والمشارب "ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"(٧) أي ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم، هو الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، ولا تصلح الربوبية لغيره، لا من لا ينفع ولا يضر، فتقدس سبحانه وتنزه وهو رب العالمين(٨).

والحديث عن جمال الإنسان الذي هو دليل على إبداع أحسن الخالقين يأتي مفصلا في فصل آخر من هذا

---

(١) سورة لقمان، آية ١١
(٢) في ظلال القرآن ج٥صـ٢٨٠٨
(٣) سورة التين، الآية ٤
(٤) سورة السجدة، الآيات٧: ٩
(٥) سورة التغابن، الآية ٣
(٦) سورة غافر، الآيات ٦٤
(٧) سورة غافر، الآيات ٦٤
(٨) تفسير المراغي ٢٤/ ٩٠

البحث إن شاء الله.

إرساله الرسل وإنزاله الكتب وتشريعه للشرائع رحمة بالناس:

من دلائل جمال الخالق أنه ﷻ قد أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ رحمة بالناس ورأفة بهم؛ ولئلا يكون لهم حجة، قال ﷻ: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا. وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا"(١)، أليست هذه رحمة من الله ورأفة؛ إذ لم يتركنا حيارى في ظلمات الشرك والضلال، ولو لم يرسل رسلا، أو ينزل كتبا ما كان لأحد من خلقه أن يسائله؛ لأنه ﷻ"لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.."(٢) قال ﷻ: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولاً"، قال في الوسيط: فيها بيان لمظهر من مظاهر رحمة الله -ﷻ- بعباده -ورأفته بهم، وكرمه معهم(٣) فلله الحمد والشكر على ما أرسل لنا من رسله، وما أنزل علينا من كتبه، وما شرع لنا من منهجه وشرعه.

تيسيره للطاعات والأعمال الصالحة:

ومن مظاهر جمال صفاته رحمته بتيسير الطاعات والعبادات على الإنسان، قال ﷻ: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.."(٤)، وقوله: "..لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا.."(٥)، وقوله: " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ.."(٦)

قال في المنار: بِنَاءُ الدِّينِ عِبَادَاتِهِ وَغَيْرِهَا عَلَى أَسَاسِ الْيُسْرِ، وَرَفْعِ الْحَرَجِ وَالْعُسْرِ - كَمَا عَلَّلَ ﷻ بِهِ رُخْصَةَ الْفِطْرِ فِي رَمَضَانَ بِقَوْلِهِ : "يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" وَعَدَمَ تَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ، وَوُسْعُ الْإِنْسَانِ مَا لَا حَرَجَ فِيهِ عَلَيْهِ وَلَا عُسْرَ؛ لِأَنَّهُ ضِدُّ الضِّيقِ، فَاللهُ لَمْ يُكَلِّفْنَا فِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي وُسْعِنَا امْتِثَالُهُ بِغَيْرِ عُسْرٍ وَلَا حَرَجٍ(٧). وتفصيل هذا في مبحث جمال الرسالة.

ترغيبه عباده في الجنة:

ومن فضل الله ورأفته ورحمته بعباده ترغيبهم في الجنة ترغيباً شديداً رضىً منه ﷻ أن يدخلوها: قال ﷻ: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.."(٨)، ووصفها أعظم الوصف لأجل الترغيب فيها، كما قال ﷻ: "فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ"(٩) وقوله "مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ"(١٠) وقال سبحانه: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"(١١) وحث على

---

(١) سورة النساء، الآيات١٦٣: ١٦٥
(٢) سورة الأنبياء، آية ٢٣
(٣) الوسيط للدكتور طنطاوي ج١ص٢٦٠٥
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨٦
(٥) سورة الطلاق، الآية ٧
(٦) سورة التغابن، الآية ١٦
(٧) المنار ج١ص٩٦
(٨) سورة آل عمران، الآية ١٣٣
(٩) سورة الرحمن، الآية ٧٠
(١٠) سورة الرحمن، الآية ٧٦
(١١) سورة البقرة، الآية ٢٥

المنافسة عليها في قوله: "سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.."(١) قال ابن عاشور: مسوق مساق الترغيب فيما به تحصيل نعيم الآخرة والتحذير من فواته وما يصرف عنه من إيثار زينة الدنيا، وعبر عن العناية والاهتمام بفعل السابقة لإلهاب النفوس بصرف العناية بأقصى ما يمكن من الفضائل كفعل من يسابق غيره إلى غاية فهو يحرص على أن يكون المجلي، ولأن المسابقة كناية عن المنافسة، أي واتركوا المقتصرين على متاع الحياة الدنيا في الأخريات والخوالف(٢).

تحذيره وتخويفه الناس من النار:

ومنها تحذيره وتخويفه العباد من النار لئلا يصلوها: قال ﷻ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ..يُؤْمَرُونَ"(٣)، وهذا من لطفه بعباده وحبه نجاتهم من العذاب فهو الرحمن الرحيم، قال ﷻ: "إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ.."(٤) وقال عز من قائل: "مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ.."(٥) نعم! ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم؟ إن عذابه لجزاء على الجحود والكفران؛ وتهديد لعله يقود إلى الشكر والإيمان..إنها ليست شهوة التعذيب، ولا رغبة التنكيل؛ ولا التذاذ الآلام، ولا إظهار البطش والسلطان..تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً..فمتى اتقيتم بالشكر والإيمان؛ فهنالك الغفران والرضوان. وهناك شكر الله - سبحانه - لعبده. وعلمه - سبحانه - بعبده..وشكر الله ﷻ للعبد، يلمس القلب لمسة رفيقة عميقة..إنه معلوم أن الشكر من الله ﷻ معناه الرضى، ومعناه ما يلازم الرضى من الثواب..ولكن التعبير بأن الله - سبحانه - شاكر..تعبير عميق الإيحاء! وإذا كان الخالق المنشئ، المنعم المتفضل، الغني عن العالمين..يشكر لعباده صلاحهم وإيمانهم وشكرهم وامتنانهم..وهو غني عنهم وعن إيمانهم وعن شكرهم وامتنانهم..إذا كان الخالق المنشئ، المنعم المتفضل، الغني عن العالمين يشكر..فماذا ينبغي للعباد المخلوقين المحدثين؛ المغمورين بنعمة الله..تجاه الخالق الرازق المنعم المتفضل الكريم؟! إنها اللمسة الرفيقة العميقة التي ينتفض لها القلب ويخجل ويستجيب(٦).

إمهاله للعصاة أن يتوبوا:

قال ﷻ: "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ.."(٧) قال المراغي: المعنى: وربك أيها الرسول غفور لذنوب عباده، ذو رحمة واسعة بهم، إذا هم أنابوا إليه ورجعوا إلى رحاب عفوه وجوده وكرمه، فيرحمهم واسع الرحمات، ويتجاوز لهم عن عظيم الخطيئات، ولو شاء أن يؤاخذهم بما اجترحوا من المعاصي كإعراضهم عن آياته، ومناصبتهم العداء لرسله، ومجادلتهم بالباطل- لعجل لهم العذاب في الدنيا وأنزل بهم عذاب الاستئصال جزاء وفاقا لقبيح أعمالهم(٨).

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢١
(٢) التحرير والتنوير ج٢٧ص٤٠٧ بتصرف
(٣) سورة التحريم، الآية ٦
(٤) سورة الزمر، الآية ٧
(٥) سورة النساء آية ١٤٧
(٦) الظلال٢/ ٢٧٠
(٧) سورة الكهف، آية ٥٨
(٨) تفسير المراغي١٥/ ١٦٩

برزق الكافر مع جحوده وعصيانه:

خلق الله الإنسان وسخر له الكون كله، وتكفل برزقه، ولم يحرم أحدا من خلقه من حظه من الدنيا بسبب كفره وعصيانه، بل ذكر سبحانه عن المنافقين بأنهم أعطوا الصحة والجسم الحسن الذي يعجب الناظر له في قوله ﷻ: "وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ"(١) فهو ﷻ يرزق المؤمن والكافر، تبعاً لسننه الكونية الماضية على جميع الخلق، قال ﷻ: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"(٢)، قال السعدي: قيد ﷺهذا الدعاء للمؤمنين، تأدباً مع الله، إذ كان دعاؤه الأول، فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيداً بغير الظالم، فلما دعا لهم بالرزق، وقيَّده بالمؤمن، وكان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع، قال تعالى: "وَمَنْ كَفَرَ" أي: أرزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر، فيتمتع فيها قليلا "ثُمَّ أَضْطَرُّهُ" أي: ألجئه وأخرجه مكرها "إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"(٣).

وفي هذا المعنى عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ"(٤).

ترغيبه في التوبة وفرحه بإنابة عبده:

وكذلك فرحه ﷻ بتوبة عبده العاصي وقبوله توبته مظهر من مظاهر جماله عز وجل قال ﷻ: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"(٥) وجاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ: " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ)(٦).

غفرانه وعفوه للعصاة التائبين:

ومن مظاهر ذلك الجمال أيضا غفرانه للعصاة المذنبين قال الله ﷻ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ "(٧).. لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.."(٨)، "وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا "(٩)، كما أن تبديله عز وجل السيئات حسنات ومضاعفته الحسنات من دلائل الجمال، قال ﷻ: "إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"(١٠) يقول أبو زهرة: من صفات اللَّه ﷻ أنه يغفر السيئات ويسترها، ويرحم عباده بهذا الغفران، وكذلك

---

(١) سورة المنافقون، الآية٤
(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٦
(٣) تيسير الكريم الرحمن صـ٦٦
(٤) صحيح البخاري، ج٨صـ٢٥، صحيح مسلم، ج٤صـ٢١٦٠
(٥) سورة الزمر، الآية ٥٣
(٦) صحيح البخاري، ج٨صـ٦٨ ومسلم، ج٤صـ٢١٠٢- واللفظ لمسلم.
(٧) سورة النساء، الآية ٤٨
(٨) سورة المائدة، الآية ١٢
(٩) سورة النساء، الآية ١١٠
(١٠) سورة الفرقان، الآية ٧٠

شأنه الأعلى، شأنه ﷻ يقرب عباده بالغفران والرحمة وفتح باب التوبة لمن أراد من عباده الصالحين(١) ويقول في الوسيط: لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا، وارجعوا إليه بالتوبة والإنابة، وأخلصوا له العبادة، من قبل أن ينزل بكم العذاب الذى لا تستطيعون دفعه ثم لا تجدون من ينجيكم منه، فنلحظ أن الآية الأولى بعد أن فتحت للعصاة باب رحمة الله على مصراعيه، جاءت الآية الثانية فحثتهم على التوبة الصادقة النصوح، حتى تكون رحمة الله-ﷻ-بهم أكمل وأتم وأوسع، فإن التوبة النصوح سبب في تحويل السيئات إلى حسنات(٢).

(١) زهرة التفاسير ١٠/ ٥٣٢٠
(٢) التفسير الوسيط١/ ٣٦٧٠

المطلب الثاني
جمال الرسول ﷺ

ذكر الرسول ﷺ في مواضع كثيرة باسمه الصريح وبألقابه وبصفاته، وكلها تدل على تكريمه وتفضيله، وبيان هذا فيما يأتي:

-محمد:

وقد ذكر اسم الرسول ﷺ (محمد) في القرآن الكريم أربع مرات، وهي: قوله تعالى "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ"(١) وقوله "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ"(٢) وقوله "وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ"(٣) وقوله "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ"(٤) قال في البصائر: الحمد: الثَّناءُ بالفضيلة، وهو أَخَصّ من المَدْح وأَعمّ من الشكر.. وكلُّ شكر حمد وليس كلّ حمدٍ شكراً، وكلّ حَمْد مدحٌ وليس كلّ مدحٍ حمداً، وفلان محمود إذا حُمِد، ومحمَّد إذا كثرت خصالُه المحمودة، ومُحْمَد كمكْرَم إذا وُجد محموداً، وقوله تعالى: "إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ" يصحّ أن يكون في معنى المحمود، وأن يكون في معنى الحامد. وحُمادَاك أن تفعل كذا أي غايتك المحمودة..وقوله تعالى: "مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ" فمحمّد ههنا وإن كان اسماً له علماً ففيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه كما في قوله تعالى: "إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى" على معنى الحياة(٥).

-أحمد:

وذكر مرة واحدة في القرآن الكريم حكاية عن نبي الله عيسى عليه السلام: "وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ"(٦).

قال في البصائر: قوله تعالى: "وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" فـ(أحمد) إشارة إلى النبيﷺ باسمه وفعله تنبيهاً على أنَّه كما وُجد أحمدَ يوجد وهو محمود في أخلاقه وأفعاله. وخُصّ بلفظ أحمد فيما يبشِّر به عيسى عليه السلام تنبيهاً أنَّه أحمد منه ومن الَّذين قبله(٧).

الرسول والنبيّ:

نودي الأنبياء في القرآن بأسمائهم كما في "يا إبراهيم"، "يا نوح"، "يا موسى" ..إلخ، ولكنه ﷺ نودي محاطاً بسياج الرسالة والنبوة دلالة على تعظيمه وتشريفه وتكريمه، كما قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.."(٨)، وقال تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"(٩)، "وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ"(١٠).

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٠
(٣) سورة محمد، الآية ٢
(٤) سورة الفتح، الآية ٢٩
(٥) البصائر ج٢صـ٥٧
(٦) سورة الصف، الآية ٦
(٧) البصائر ج٢صـ ٥٧
(٨) سورة المائدة، الآية ٦٧
(٩) سورة البقرة، الآية ١٤٣
(١٠) سورة البقرة، الآية ١٤٣

وقال تعالى: "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا"(١) وقال سبحانه: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ.."(٢).

النبيَ الأمي:

قال تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ"(٣) وقال تعالى: "فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"(٤) و(النبي الأمي) هو وصف خاص بمحمد ﷺ لا يشاركه فيه غيره من النبيين؛ فالأمية آية من آيات نبوته، وهو مع أميته قد جاء بأعلى العلوم النافعة التي بها يصلح ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم وآدابهم وأعمالهم، فغيّر نظم البشر في تلك الحقبة الطويلة وأثر في حياة الأمم التي حوله أكبر الأثر بما شهد له المنصفون في كل الأديان.(٥)

قال في التحرير: إن محمداًﷺ اشتهر بوصف النبي الأمي، فصار هذا المركب كاللقب له؛ فلذلك لا يغير عن شهرته، وكذلك هو حيثما ورد ذكره في القرآن.(٦)

البشير والنذير:

قال تعالى: "إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(٧) وقال عز من قائل: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"(٨) وقال جل جلاله: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا"(٩).

المبشر: المخبر بالبشرى، والبشارة هي الحادث المسر لمن يخبر به والوعد بالعطية، والنبيﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم. وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر وهو قسم الامتثال من قسمي التقوى، فإن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والمأمورات متضمنة المصالح فهي مقتضية بشارة فاعليها بحسن الحال في العاجل والآجل.

وقدمت البشارة على النذارة لأن النبيﷺ غلب عليه التبشير؛ لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته.

والنذير: مشتق من الإنذار وهو الإخبار بحلول حادث مسيء أو قرب حلوله، والنبي ﷺ منذر للذين يخالفون عن دينه من كافرين به ومن أهل العصيان بمتفاوت مؤاخذتهم على عملهم.

والمعنى: وما أرسلناك أيها الرسول إلى من أرسلناك إليهم من عبادنا إلا مبشرا بالجنة من أطاعنا فانتهى إلى أمرنا، ومنذرا لمن عصانا فخالف ذلك.(١٠)

السراج المنير:

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا".(١١) وصف النبي بـــ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٨
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٥٩
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٧
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٨
(٥) تفسير المراغي ج٩صـ٨١
(٦) التحرير والتنوير ج٩صـ١٣٣
(٧) سورة الأعراف، الآية ١٨٨
(٨) سورة سبأ، الآية ١٢٨
(٩) سورة الأحزاب، الآية ٤٥
(١٠) تفسير المراغي ج١٥صـ١٠٧
(١١) سورة الأحزاب الآيتان ٤٥، ٤٦

(السراج المنير) هو من باب التشبيه البليغ بطريق الحالية، وهو طريق جميل، أي أرسلناك كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس فيها والتي لا تترك للباطل شبهة، فقوله "وسراجا منيرا" أي يستضيء بك الضالون في ظلمات الجهل والغواية، ويقتبس من نورك المهتدون، فيسلكون مناهج الرشد والسعادة(١).

أول المسلمين:

قوله تعالى: "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"(٢) أي: أول المنقادين إلى امتثال ما أمره ربه به، وترك ما نهاه عنه، قال ابن عاشور: قوله "أول المسلمين" ابتدأ بنفسه في أعمال هذا الدين كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: "وأنا أول المؤمنين"(٣)، وكما أمر رسوله محمد ﷺ إذ قال: "وَأُمِرتُ لأَن أَكُونَ أولَ المُسلِمِين(٤)"(٥).

صاحب الكوثر:

قال تعالى "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ"(٦)، وهو الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له "الكوثر" ومن الحوض، طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا(٧).

كونه رحمة الله للعالمين:

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"(٨) أي وما أرسلناك يا محمد إلا للرحمة بالعالمين: الإنس والجن؛ لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم، وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم(٩).

صاحب الخلق العظيم:

قال تعالى: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"(١٠) فعلا ﷺ بخلقه العظيم على جميع الخلق، وفاق الأولين والآخرين، وكان خلقه العظيم – كما فسرته به عائشة رضي الله عنها – هذا القرآن الكريم، وذلك نحو قوله تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"(١١) "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ"(١٢) "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"(١٣) وما أشبهها من الآيات الدالة على اتصافه ﷺ بمكارم الأخلاق، والآيات التي فيها الحث على كل خلق جميل، فكان أول الخلق امتثالا لها وسبقا إليها وإلى تكميلها، فكان له منها أكملها وأجلها وأعلاها، وهو في كل خصلة منها في الذروة العليا، فكان سهلا لينا قريبا من الناس، مجيبا لدعوة من دعاه، قاضيا لحاجة من استقضاه، جابرا لقلب من سأله، لا يحرمه ولا يرده خائبا، وإذا أراد أصحابه أمرا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن في ذلك محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به

---

(١) تفسير المراغي بتصرف يسير ج٢٢صـ٢٠
(٢) سورة الأنعام الآي ١٦٢
(٣) سورة الأعراف، الأية ١٤٣
(٤) سورة الزمر، الأية ١٢
(٥) التحرير والتنوير ج١٩صـ١٤٥
(٦) سورة الكوثر، الآية ١
(٧) تيسير الكريم الرحمن ج١صـ٩٣٥
(٨) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧
(٩) التفسير المنير للزحيلي ج١٧صـ١٤٣
(١٠) سورة القلم، الآية ٤
(١١) سورة الأعراف، الآية ١٩٩
(١٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩
(١٣) سورة التوبة، الآية ١٢٨

دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسا إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ له في كلامه، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ.

الأسوة الحسنة:

"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"(١) أي، لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثرَ من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال(٢).

كون معلمه جبريل عليه السلام:

قال تعالى: "عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى"(٣) يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علَّمه الذي جاء به إلى الناس "شَدِيدُ الْقُوَى"، وهو جبريل، عليه السلام، كما قال: "إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ"(٤)(٥).

هدايته الخلق إلى الصراط المستقيم:

قال تعالى "وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"(٦) هذه هي هداية الإرشاد والتعليم والبيان، وهي التي أثبتها لرسوله، بل ولكل من له تعليم وإرشاد للخلق كما قال: "وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا"(٧) وقال: "وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ"(٨) وأما هداية التوفيق ووضع الإيمان في القلوب فإنها مختصة بالله؛ ولذا قال: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ"(٩) فكما لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ويميت إلا الله، فلا يهدي إلا الله(١٠).

حياؤه:

قال تعالى "..إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ.."(١١) كان حياء النبي ﷺ يمنعه أن يأخذ حظ نفسه ﷺ فيستحيي، ولكن الله لا يضيع ذلك؛ فإذا بالله عز وجل يعلم المؤمنين ألا يؤذوا النبي ﷺ فيدفعونه إلى أن يستحيي ولا يبين لهم ذلك.

عصمته قولاً وفعلاً:

"مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى"(١٢) المعنى: ما عدل محمد عن طريق الحق وما اعتقد باطلاً، وما يصدر نطقه فيما يتكلم به من القرآن عن هوى نفسه، وما القرآن الذي ينطق به إلا وحي من الله يوحيه إليه(١٣).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١
(٢) التفسير الميسر ج١صـ٤٢٠
(٣) سورة النجم، الآية ٥
(٤) سورة التكوير الآيات ١٩ : ٢١
(٥) تفسير ابن كثير ج٧صـ٤١٢
(٦) سورة الشورى، الآية ٥٢
(٧) سورة الأنبياء، الآية ٧٣
(٨) سورة الرعد، الآية ٧
(٩) سورة القصص، الآية ٥٦
(١٠) تيسير الطيف المنان في خلاصة التفسير ج١صـ٣١٣
(١١) سورة الأحزاب، الآية ٥٣
(١٢) سورة النجم الآيات ٢ : ٥
(١٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ج١صـ٧٨٠

نقل صاحب أضواء البيان عن السيوطي قوله: الوحي وحيان: وحي أمرنا بكتابته، وتعبدنا بتلاوته، وهو القرآن الكريم، ووحي لم نؤمر بكتابته، ولم نتعبد بتلاوته وهو السنة، وقد عمل بذلك سلف الأمة وخلفها(١).

لينه ورقته:

قال تعالى "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ.."(٢) واللين في المعاملة: الرفق والتلطف فيها، والفظ: الخشن الشرس الأخلاق الجافي في المعاشرة في القول والفعل، والغليظ: القاسي الذي لا يتأثر قلبه من شيء، والمعنى: فبرحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك."ولو كنت فظا" أي: سيئ الخلق "غليظ القلب" أي: قاسيه، "لانفضوا من حولك" لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ..فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟! أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به ﷺ، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله.

حرصه ورحمته وشفقته بأمته:

قال تعالى "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ"(٣)يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم"عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ " أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم."حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ" فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. "بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم(٤).

شجاعته:

قال تعالى "إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ"(٥)، هذه الآية تتحدث عن غزوة أحد، وقد وقع ما وقع، وتمكن المشركون من العودة، وانكشف المسلمون، وبينا هم في هذه الحال إذا بالرسول يدعوهم من ورائهم وينادى، هلمّ إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، أنا رسول الله، من يكر فله الجنة، وهم لا يسمعون ولا ينظرون، وقد كان لهم أسوة بالرسول، فيقتدون به في الصبر والثبات(٦).

كونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم:

---

(١) أضواء البيان ٨/ ٣٧
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩
(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٨
(٤) تيسير الكريم الرحمن ج١ص٣٥٦
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٥٣
(٦) تفسير المراغي ج٤ص١٠٢ بتصرف

قال تعالى "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ"(١)أي إن النبي محمدا ﷺ أرأف بجماعة المؤمنين من أمته وأعطف عليهم من أنفسهم إذ هو يدعوهم إلى النجاة، وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك، ولأنه ينزّل لهم منزلة الأب. فالنفس قد تأمر بالسوء، وأما محمد ﷺ فهو لا يأمر إلا بالخير ولا ينطق إلا بالوحي..وجعلت الولاية مطلقة لتشمل جميع الأمور الدينية والدنيوية، وما دام محمد ﷺ أولى من النفس، فهو أولى من جميع الناس بطريق الأولى، وحكمه مقدّم على اختيارهم لأنفسهم، ومحبته مقدمة أيضا على حب النفس التي بين الجنبين(٢).

عالمية رسالته ﷺ:

قال الله ﷻ: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً"(٣) وقال تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ"(٤) وقال تعالى "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً"(٥) إن من بين ما فضل به النبي على جميع الأنبياء عالمية رسالته، كما قال ﷺ: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)(٦) إن رسول الله ﷺ لم يكتف بدعوة قومه إلى الإسلام، ولا بدعوة أهل مكة والمدينة إلى هذا الدين، فحسب، بل وجّه دعوته إلى العالم أجمع، لكل القوى الموجودة، وكل الملوك، وهذا يؤكد تأكيداً قاطعاً على عالمية الدعوة الإسلامية، فقد بعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام العظيم الذي هو الدين الخالد.

صفته في التوراة والإنجيل:

قال تعالى "يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ"(٧) قال السعدي: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ" احتراز عن سائر الأنبياء، فإن المقصود بهذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ "الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ" باسمه وصفته، التي من أعظمها وأجلها، ما يدعو إليه، وينهى عنه. وأنه " يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ " وهو كل ما عرف حسنه وصلاحه ونفعه."وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ" وهو: كل ما عرف قبحه في العقول والفطر. فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق، والصدق، والعفاف، والبر، والنصيحة، وما أشبه ذلك، وينهى عن الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والزنا، وشرب ما يسكر العقل، والظلم لسائر الخلق، والكذب، والفجور، ونحو ذلك.فأعظم دليل يدل على أنه رسول الله، ما دعا إليه وأمر به، ونهى عنه، وأحله وحرمه، فإنه " يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ " من المطاعم والمشارب، والمناكح." وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ " من المطاعم والمشارب والمناكح، والأقوال والأفعال. وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ " أي: ومن وصفه أن دينه سهل سمح ميسر، لا إصر فيه، ولا أغلال، ولا مشقات ولا تكاليف ثقال(٨).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦
(٢) التفسير المنير للزحيلي ج٢١ صـ٢٤٥
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٨
(٤) سورة سبأ، الآية ٢٨
(٥) سورة الفرقان، الآية ١
(٦) صحيح البخاري ص ٤٣٨
(٧) سورة الأعراف، الآية ١٥٧
(٨) تيسير الكريم الرحمن ج ٢ صـ ٣٠٥

المطاعم والمشارب، والمناكح." وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ " من المطاعم والمشارب والمناكح، والأقوال والأفعال." وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ " أي: ومن وصفه أن دينه سهل سمح ميسر، لا إصر فيه، ولا أغلال، ولا مشقات ولا تكاليف ثقال(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ صـ ٣٠٥

صلاة الله وملائكته على النبي ﷺ:

قال الله ﷻ: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"(١)إن صلاة الله على النبي ذكره بالثناء في الملأ الأعلى؛ وصلاة ملائكته دعاؤهم له عند الله سبحانه وتعالى..ويا لها من مرتبة سنية حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه؛ ويشرق به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه. ويثبت في كيان الوجود ذلك الثناء الأزلي القديم الأبدي الباقي. وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم. وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلي وتسليمه، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم؛ إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم إلى تسليمه؛ وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوي الكريم الأزلي القديم.

الجمال في الدعوة وأساليبها

لما كان نبينا محمد هو قدوة الدعاة إلى الله وسيدهم وإمامهم على الإطلاق، فإننا نختم الحديث عن جماله ببيان وجه الجمال في أساليب الدعوة حيث بينها القرآن الكريم.

قد أخبر الله عن نبيه ما كان يتحلى به في دعوته، فقال ﷻ: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"(٢)وقال ﷻ: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"(٣)كما أمرنا تعالى في دعوتنا للكفار بترك الجدال إلا بالتي هي أحسن فقال تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"(٤).

وقد أولى القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بالدعوة، واعتنى بالكيفية التي تتم عليها، فاعتنى بأساليب الدعوة ووسائلها، فحينما نقرأ الآية التي تتحدث عن الدعوة تبدأ بالحسن، فتبين فضل الداعين إلى الله وتصفهم بأنهم الأحسن والأفضل هدفا وعملا بين الناس، قال الله ﷻ: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"(٥)ومن عجب أن يأتي بعدها قول الله تعالى "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"(٦) ولعلّ الحكمة في ذلك حكمة أن الداعي متعرض في دعوته لبعض صور الرفض والإنكار؛ ولذلك أتبع القرآن الكريم آية الدعوة بقوله ﷻ: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة" فإن القرآن الكريم يوصي ألا يقابل الإساءة بالإساءة، وأن يدفع بالتي هي أحسن؛ حتى يكسب بأخلاقه وحسن فعاله من يدعوهم، وحين تحدث الله تعالى عن أساليب الدعوة قال سبحانه: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"(٧) أما الحكمة فهي صفة جميلة تعني: التريث والتؤدة، وحسن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦: ٥٧
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩
(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥
(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٦
(٥) سورة فصلت، الآية ٣٣
(٦) سورة فصلت، الآية ٣٤
(٧) سورة النحل، الآية ١٢٥

تصرف في الأمور قولا وفعلا، فهي من صفات الجمال، (والموعظة) ولم يقتصر على لفظ (الموعظة) بل صفها بقوله: (الموعظة الحسنة) فانظر كم جمع من صفات الحسن لفظا ومعنى في تلك الآية التي جمعت ساليب الدعوة، وعندما تكلم عن دعوة غير المسلمين وذكر أهل الكتاب فقال: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.."(1) فنلاحظ ذكر الحسن، ثم إيثار لفظ (أحسن) على حسن؛ فلم يقل: بالتي هي حسن أو خير؛ إنما يقول (أحسن) وهو لفظ أفضل، إن علينا أن نتأمل الجمال في هذا الاختيار، فنحن الآن أمام أساليب الدعوة إلى الله، وما ينبغي أن يكون عليه حال وصفة الداعي إلى الله، لئلا ينفر منه الناس، نسأل الله أن يجعلنا من الدعاة إليه، وأن يرزقنا القبول والسداد، وبالله التوفيق.

(1)سورة العنكبوت، الآية ٤٦

المطلب الثالث

جمال الرسالة

إن الله ﷻ هو ذو الجلال والجمَال؛ فهو سبحانه "غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ"(١)؛ ولذا كان دينه الإسلامي الذي هو شريعته وأحكامه وتكاليفه موصوفاً بالجمَال والجلال؛ إذ جمال الصنعة من جمال صانعها وكماله، إن جمال الرسالة هو في كمال مبادئها وخصائصها ومعالمها، وكذلك في شمولها لكل مناحي الحياة، من عقيدة وشريعة (عبادات ومعاملات وأخلاق).. بل وفي ثوابها وجزائها، وبيان ذلك ما يلي:

أولاً: جمال التكاليف

اتسم الدين الإسلامي بسماتٍ وخصائصَ طيبةٍ هي أعظم الصفات التي يمكن أن يتصف بها نظام أو منهج، ومن هذه السمات والخصائص ما يلي:

الجمال في العقيدة

تمتاز العقيدة الإسلامية بالوضوح التام؛ فليس فيها ما في بعض المذاهب الأخرى من طلاسم وغيوب مجهولة، كما تمتاز عقيدتنا بكونها لا تصادم العلم الصحيح، ولا العقل الراشد؛ ولم لا وهي تتسق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وتنسجم مع الفكر القويم، وتدعو إلى النظر في الكون بلا قيود أو حدود، والآن مع بعض مظاهر الجمال في عقيدتنا الإسلامية، وبالله التوفيق.

* التوحيد أعظم صور الجمال في العقيدة الإسلامية:

قال تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" إن التوحيد نعمة عظيمة تستوجب الحمد والشكر؛ إذ إن الموحد يلجأ إلى إله واحد، يكشف كربه، ويزيل همه، ويحقق رجاءه، ويستمد منه كل ما يريد، قال سبحانه: "أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ"(٢) أما غيره فهو عبد لكل مطمع، عبد للمال، وعبد للشهوة، وعبد للمناصب، وعبد للقوة؛ كما قال الرسول: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ..)(٣)، ومن أجل ذلك جاء قوله جل شأنه: "وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا"(٤) قال الشيخ الشعراوي: فكونه سبحانه لم يتخذ ولداً نعمة كبيرة على العباد يجب أنْ يحمدوه عليها، فإنْ كان له ولد فسوف يخصُّه برعايته دون باقي الخَلْق، فقد تنزّه سبحانه عن الولد، وجعل الخَلْق جميعهم عياله، وكلُّهم عنده سواء، فليس من بينهم مَنْ هو ابن لله أو مَنْ بينه وبين الله قرابة، وأحبّهم إليه تعالى أتقاهم له، وهكذا ينفرد الخَلْق بكل حنان

---

(١) سورة غافر، آية ٣
(٢) سورة النمل، آية ٦٢
(٣) صحيح البخاري، ج٤صـ٣
(٤) سورة الإسراء، الآية ١١١

بهم وبكل رحمته(١).

* من جمال العقيدة الوضوح التام وعدم الغموض:

حيث يبرهن الحق جل جلاله للناس على فساد الإشراك، وآثاره السيئة، فقد بين الله الرشد من الغي، بين ذلك كل أحد حتى إذا قبل الدّين قبله عن بيان وظهور(٢)، وقد كثر في القرآن احتجاج على الوحدانية ونفي الشركاء لما أنه أهم المطالب على الإطلاق، وكم من الآيات الكريمة ما تضمن إقامة براهين على الوحدانية وأبطال الشرك، ومنها قوله تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"(٣)، وقال عز من قائل: "مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"(٤) قال ابن جزي: قد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جدا أوضحها أربعة براهين: الأول: قوله "أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ"(٥)لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكا له، والثاني: قوله "لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا"(٦) والثالث: قوله "قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا"(٧) والرابع: قوله: "وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ"(٨).(٩)

* من صور الجمال حرية الاعتقاد:

لقد كان انتشار الإسلام بالقناعة الذاتية، وبالاستحسان الحر الطليق دون إجبار ولا إكراه؛ فليس انتشار الإسلام بالسيف، بل نهى الله عن الإكراه على الدين فقال تعالى: "..أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ"(١٠)، ونظير الآية قوله تعالى: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ(١١)، وقوله سبحانه: وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ(١٢)، وقوله "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ.."(١٣) قيل معناه: لا دين يقبل بإكراه، بل ليس ذلك بإيمان، وقال آخرون: لا إكراه على هذه الطاعات بعد الإسلام؛ لأن الله تعالى حبب هذه الطاعات في قلوب المؤمنين فلا يُكرهون على ذلك(١٤).

* من صور الجمال الإيمان والتصديق بجميع الأنبياء:

يمتاز المسلمون على سائر الخلق بأنهم يحققون الإيمان والتصديق، بل والحب والتقدير لجميع أنبياء الله ورسله بلا تفرقة من حيث كونهم جميعا مرسلين، بل بلغ التقدير برسول الله ﷺ أن قال: "لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ.."(١٥) وفي هذا يقول الله تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

---

(١) تفسير الشعراوي٤/ ٢١٢٤
(٢) تفسير الماتريدي٢/ ٢٣٩
(٣) سورة الزمر، الآية ٢٩
(٤) سورة المؤمنون، آية٩١
(٥) سورة النحل، آية ١٧
(٦) سورة الأنبياء، آية: ٢٢
(٧) سورة الإسراء، آية: ٤٢
(٨) سورة المؤمنون، آية: ٩١
(٩) التسهيل٢/ ٥٢٤
(١٠) سورة يونس، الآية ٩٩
(١١) سورة الغاشية، آية: ٢٢
(١٢) سورة ق، آية ٤٥
(١٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦
(١٤) تفسير الماتريدي٢/ ٢٣٩
(١٥) صحيح البخاري، ج٤ص٥٩

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ.."(١)، وقال تعالى" إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا.أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"(٢).

إن الإيمان باللّه ورسله لا يتجزأ، فمن آمن حقيقة باللّه، آمن بجميع رسله الذين أرسلهم لهداية الناس، فهو مصدر الإرسال، والرّسل سفراء بين اللّه وخلقه، فلا يتصور إيمان باللّه وكفر ببعض رسله؛ وحينئذ لا يقبل إيمان بموسى وكفر بعيسى، وإيمان بجميع الرّسل وكفر بمحمد ﷺ، فهو مذكور في كتبهم، ومبشّر به عندهم، ومصدّق لما معهم، والقرآن مهيمن على ما سبقه من الكتب السماوية، واللّه أعلم حيث يجعل رسالته، وهو سبحانه القائل: "لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً" (٣) وقد ذكر اللّه تعالى بعد أهل الكتاب فريقا آخر وهم المسلمون، للمقارنة والعظة والعبرة، وهم الذين آمنوا باللّه وجميع رسله، فإنهم يؤمنون بكلّ كتاب أنزله اللّه تعالى، وبكلّ نبيّ بعثه اللّه.(٤)

* من صور الجمال عدم الغلو في الدين ونفي الحرج:

من أبرز خصائص التشريع الإسلامي يسر أحكامه وسماحته، فلا مشقة فيه ولا حرج، قال تعالى "مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"(٥) قال في الوجيز: (من حرج) أي من ضيق في الدّين، ولكنْ جعله واسعاً. ولعل سماحة هذا الدين ويسره هي عنوانه وصفته، يقولُ النَّبيِّ ﷺ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» فالمقصود بقوله (السمحة) أي الأعمال التي لا حرج فيها ولا تضييق، وقد قال تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"، فلمْ تشدد التكاليف في التشريع الإسلامي كما شددت في شرائع الرسل السابقين؛ حيث يقول الله تعالى: "فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا"(٦) بل كان هذا التشريع رحمة ويسرا وسعة للعالمين؛ ولذا يقول الله تعالى في وصف نبيه محمد وشريعته: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ"(٧) قال البغوي في تفسيره: "والأغلال يعني: الأثقال التي كانت عليهم، وذلك مثل: قتل النفس في التوراة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض، وتعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس، وغير ذلك من الشدائد، شبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق".(٨)

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٥
(٢) سورة النساء الآيات ١٥٠: ١٥٢
(٣) سورة المائدة، الآية ٤٨
(٤) التفسير المنير ٦/ ١١ بتصرف
(٥) سورة المائدة، الآية ٦
(٦) سورة النساء، الآية ١٦٠
(٧) سورة الأعراف، الآية ١٥٧
(٨) تفسير البغوي ص ٤٩٥

* من صور الجمال التكليف بما في الوسع والطاقة:

لم يطالب هذا الدين أتباعه بما لا يطيقون، ويكفينا في هذا قوله تعالى: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" وقوله: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا" أي: لا يكلف الله نفسا إلا ما يسعها فعله، بأن تأتيه بلا عسر ولا حرج أي بقدر الطاقة والجهد، وقد ورد في السنة التوجيه إلى بذل الطاقة من غير إسراف ولا تكلف، فعن أبي هريرة قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَضْحَكُونَ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ، قَالَ لَكَ: لِمَ تُقَنِّطُ عِبَادِي؟، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا». قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: «سَدِّدُوا» يُرِيدُ بِهِ: كُونُوا مُسَدِّدِينَ، وَالتَّسْدِيدُ: لُزُومُ طَرِيقَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَاتِّبَاعُ سُنَّتِهِ، «وَقَارِبُوا» يُرِيدُ بِهِ: لَا تَحْمِلُوا عَلَى الْأَنْفُسِ مِنَ التَّشْدِيدِ مَا لَا تُطِيقُونَ، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ لَكُمُ الْجَنَّةَ إِذَا لَزِمْتُمْ طَرِيقَتِي فِي التَّسْدِيدِ، وَقَارَبْتُمْ فِي الْأَعْمَالِ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خَوْفُهُ بِحَيْثُ يُؤَيِّسُهُ وَيُقَنِّطُهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، كَمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَجَاؤُهُ بِحَيْثُ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ، أَوْ يُجَرِّئُهُ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ ﷻ.(١)

جمال العبادة

إن المتأمل في العبادات ليجد فيها من مظاهر الجمال الملموس من نظام ونظافة ونحوها، ومن مظاهر الجمال المعنوي من مساواة وجود وتكافل وغيرها ما لا يخفى، وهذا كله من كمال الدين وتمام النعمة، وهذا بيانه بإيجاز.

من جمال التشريع في العبادة اتساع مجالها وتعدد صورها:

لعلّ من جمال العبادة أن مجالها متسع لصور كثيرة، وأنواع عديدة؛ فليست تقتصر على الشعائر المعروفة والأشهر، والتي هي الصلاة والزكاة والصيام والحج؛ لأن العبادة اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ لذلك فإنها تشمل: الخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من صور العبادة، فقراءة القرآن عبادة، وذكر الله عبادة، والتفكر في ملكوت الله عبادة، قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ.الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"، وقال سبحانه: "قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ"، بل إن كل عمل يقوم به الإنسان امتثالا لأمر الله يعد طاعة وعبادة، فبر الوالدين، وصلة الرحم والإحسان إلى الجار صور من صور العبادة، طالما صدرت عن المسلم بنية الائتمار بأمر الله "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

(١) صحيح ابن حبان ١/ ١١٣/١٦٢و ٢٨٥/ ٣٥٩ وصححه الألباني

أَيْمَانُكُمْ.."(١).

والجمال في هذا اختلاف طبائع الناس وطاقاتهم في الإقبال على الطاعات، فمن الناس من تثقل عليه الصلاة فلا يؤدي إلا المفروضة منها، بينما تجده هو هو من يقبل على الصيام بكثرة، فيصوم فوق صوم الفرضِ السننَ والنوافل من غير حد، فاتساع مجال العبادة يعطي المسلمَ حظاً كبيراً في زيادة الأجر ومضاعفة الثواب؛ لأن هذا التنوع من شأنه أن يحقق نشاطا في القيام بالعبادة، وأن يدفع عنها السآمة والملل، بخلاف ما لو لم يكن للعبادات كلها إلا مظهر واحد.

من مظاهر الجمال في العبادة أنها لم تشرع للمشقة على الإنسان:

قال تعالى: "طه.مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءانَ لِتَشْقَى"(٢) فقد أورد السيوطي في الدر عن البزار(وحسَّن السيوطيّ سنده) عن علي قال: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"(٣)، والمعنى: ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين؛ وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة(٤)، فقد بعث رسول الله ليَسعد ويُسعد معه قومَه والناسَ أجمعين، لا ليَشقى ويُشقي معه الناس(٥)؛ فإنه بعث إلا بالحنيفية السمحة، ويدل لهذا التأويل ظواهر آيات من كتاب الله، كقوله: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ"(٦)، وقوله "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"(٧).(٨) فيستحب الترفق بالطاعات، وترك الحمل على النفس ما لا تطيق، كما قد ورد الأمر بالقصد في الطاعات دون أن يحمل على النفس ما لا تطيق، وحيث ورد الأمر بالعمل قدر الطاقة، فيجب على الإنسان أن يلزم التسديد في أسبابه مع الاستبشار بما يأتي منها.

من مظاهر جمال التشريع في العبادة التيسير والتخفيف وتشريع "الرخص":

راعت الشريعة الإسلامية الظروف الاستثنائية للإنسان، مثل المرض والسفر التي تمنعه من أداء العبادة في صورة متكاملة، فأجازت له قصر الصلاة وجمعها والتيمم والإفطار في رمضان وغيرها من الرخص، وهذه هي القاعدة الكبرى في تكاليف هذا الدين كلها، فهي ميسرة لا عسر فيها، وهي توحي للقلب الذي يتذوقها،

---

(١) سورة النساء، الآية ٣٦
(٢) سورة طه، الآية ٢
(٣) الدر المنثور ج٥صـ٥٤٩
(٤) تيسير الكريم الرحمن ج١صـ٥٠١
(٥) تفسير الشعراوي٤٢٣٣
(٦) سورة الحج، الآية ٧٨
(٧) سورة البقرة، الآية ١٨٥
(٨) أضواء البيان ج٤صـ٤

بالسهولة واليسر في أخذ الحياة كلها؛ وتطبع نفس المسلم بطابع خاص من السماحة التي لا تكلف فيها ولا تعقيد(١) وقال الفخر: قوله تعالى "يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ" هذا عام في كل أحكام الشرع، وفي جميع ما يسره لنا وسهله علينا، إحسانا منه إلينا، ولم يثقل التكليف علينا كما ثقل على بني إسرائيل، ونظيره قوله تعالى "وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والأغلال التى كَانَتْ عَلَيْهِمْ"(٢) وقوله "يُرِيدُ الله بِكُمُ اليسر وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العسر"(٣) وقوله "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكمْ في الدين منْ حَرَجٍ"(٤) وقوله ﷺ«جئتكم بالحنيفية السهلة السمحة»(٥).

إسقاط التكليف بالكلية عن غير المستطيع:

إن أركان الإسلام العملية بعد الشهادتين أربع، الصلاة والصيام والزكاة والحج، يسقط الشرع منها اثنتين بالكلية عن غير القادر المستطيع، وهما الزكاة والحج، فمن لا مال له لا تلزمه الزكاة، وفاقد الاستطاعة بالمال أو الصحة والبدن غير مكلف بالحج، وقريب من هذا الصوم، فإن للمريض مرضا لا يرجى برؤه وكذا الشيخ العجوز أن يفطر ويكفر.

فمن جمال في التكليف ابتداء؛ حيث أسقط العبادة عن غير القادر، وجمال في الأداء تخفيفاً؛ إذ شرع القصر والجمع، وشرع للضعيف إن لم يقدر على الصلاة قائما صلى جالسا أو راقدا.. إلخ، وجمال في الجزاء انتهاء؛ إذ ضاعف فجعل الحسنة بعشر أمثالها، ولم ينقص من ثواب من يقصر أو يجمع أو يقعد شيئاً من الأجر.

من الجوانب المادية الجميلة في العبادة:

- من جوانب الجمال الملموسة في العبادات النظافة والطهر؛ فالصلاة يشترط لها طهارة الثوب والبدن والمكان، ولا تصح إلا بالوضوء، وهو نظافة كاملة تتكرر لكل صلاة، وهو مظهر جمالي واضح وملموس، قال تعالى: "وثيابك فطهر"(٦) وقال"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ"(٧).

- وفي الصلاة والصوم درس بليغ وتربية رائعة على احترام المواعيد، ومرعاة الدقة، وإنه لنظام دقيق لا مثيل له؛ فنجد الأذان يرفع في كل بلد في نفس الوقت الدقيق؛ لأنه لا يجوز تأخير فرض عن موعده، ولا تقديمه، كما أنه لا يجوز الفطر قبل الغروب، ولا تناول شيء مفطر بعد الفجر.

- وفي صلاة الجماعة في المسجد مظهر جمالي رائع، وهو صورة من صور النظام وحسن التوزيع؛ حيث يمتلئ المسجد بالمصلين، في المساجد الجامعة، وفي الجمعة، وفي العيدين، وحينما ينادي المؤذن لإقامة الصلاة وجدنا صفوفا منتظمة، ولم تحتج هذه الأعداد الغفيرة إلى من ينظمها أو يرتبها صفوفا، وهذا بخلاف المظهر الجمالي الآخر والمتمثل في اتحاد الحركات والأفعال والذي يمثل صورة جمالية أخرى لا تقل عن سابقتها جمالا وروعة،

---

(١) الظلال ج١صـ١٤٥
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧
(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥
(٤) سورة الحج، الآية ٧٨
(٥) مفاتيح الغيب ج٥صـ١٧٤
(٦) سورة المدثر، الآية ٤
(٧) سورة المائدة، الآية ٦

ومن الجمال الحث على التزين والتعطر للصلاة:

لقد ربطت العديد من الشعائر التعبدية بالظواهر الجمالية ترغيباً في إتيانها وتهيئة للنفس الإنسانية للتمسك بها، فنجد الحق سبحانه يأمر المؤمنين من عباده بقوله: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)(١)، ومن المعروف أن الزينة مظهر من مظاهر الجمال ودلالة من دلالاته، ومن اللافت للنظر أن يأتي عقيب هذا التوجيه قوله تعالى "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ"(٢) أي: مَن هذا الذي يقدم على تحريم ما أنعم الله بها على العباد، ومن ذا الذي يضيق عليهم ما وسَّعه الله؟ وهذا التوسيع من الله لعباده بالطيبات، جعله لهم ليستعينوا به على عبادته(٣)؛ فيباح للإنسان سائر أنواع اللباس على اختلاف أصنافه وأشكاله، ومن صور الجمال الحثّ على التزين يوم الجمعة؛ فهو اجتماع أسبوعي كبير، قال رسول الله ﷺ: "لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى"(٤).

من الجوانب المعنوية الجميلة في العبادة سموغاياتها:

إن جمال العبادات في سمو غاياتها؛ فالعبادات ليست حركات ومظاهر تؤدى، وإنما هي تكاليف تسمو بالنفس في مراتب الجمال الروحي؛ فكل عبادة من العبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها لها آثار جميلة في حياة الناس:

- فالصلاة تقوى صلته بالله عز وجل؛ لأنه يكون على صلة بالله دائماً وأبداً، كما أن صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر، قال الله عز وجل: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"(٥).

- ومظهر آخر من مظاهر الجمال في الصلاة، ألا وهو المساواة بين المسلمين؛ إذ ينتظم في صفوفها جميع الناس من غير تمييز بين كبير وصغير، أو غني أو فقير.. إلخ.

- والزكاة لها أثران شخصي واجتماعي، فالأول يتمثل في أن بها يتطهر المال، وتتطهر النفس من الشُح والبخل، وتقوية الشعور بالآخر، والإحساس بحاجة المحتاج، وأما الآخر فيتمثل في (التكافل الاجتماعي) قال تعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"(٦).

- والصومُ فيه إضعاف قوة الشهوات في النفس، وكبح لجماحها، وفي صيام الغني إحساسه بألم الجوع، فيتذكر نعمةَ الله عليهم فيشكر الله عز وجل، ويشعر بأنَّ له إخواناً يتألَّمون من الجوع من غير صيام؛ لأنَّهم لا يجدون ما يسُدُّ رَمَقَهم فيكون ذلك حافزاً له على الإحسان إلى المساكين والبذل للمُعوزين والمحتاجين، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"(٧).

وفي الحجّ يقول سبحانه: "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣١
(٢) سورة الأعراف، الآية ٣٢
(٣) تيسير الكريم الرحمن ج١ص٢٧٨
(٤) صحيح البخاري ج٢ص٣
(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٥
(٦) سورة التوبة، الآية ١٠٣
(٧) سورة البقرة، الآية ١٨٣

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ"(١)، فيتحفظ المسلم من الرفث والفسوق والجدال، ويتَجَرَّد من ثيابه ويلبس إزاراً ورداءً يستوي فيه الغنيّ والفقير، فيذكره هذا بلباس الكفن بالموت، فيستعد له، وفي اجتماع الحجّاج في عرفة تذكير باجتماع الناس في الموقف يوم القيامة فيستعد له.

- وفي الحج أيضا، يتوحد المسلمون جميعا في الزي، وفي الوقوف على أرض واحدة بعرفات، وفي الطواف والسعي.

وأهم من ذلك كله توحد البواعث والغايات والمقاصد من هذه الأعمال المشتركة، حيث الإخلاص وقصد ابتغاء رضى الله عز وجل "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ"(٢).

جمال المعاملات

يشمل جانب المعاملات بيان صور ومظاهر الجمال في التشريع الإسلامي في مجالات السلوك الإنساني والتعامل بين الناس في البيع والشراء والزواج.. ونحوها، وكذا في معاملة غير المسلمين. والإسلام في هذا الجانب زاخر بجوانب العظمة والجمال كما يأتي بيانه، وبالله التوفيق.

الجمال في أحكام الزواج والطلاق:

يعد نظام الزواج وما يتعلق به نظاماً فريداً؛ لأنه يستند إلى الواقع لا إلى الخيال، ولأنه يجمع بين الجمَال الحسي والجمَال المعنوي، فلم يهمل الإسلام قيمة جمَال الصورة لدى بحث الإنسان عن رفيق العمر وشريك الحياة، فمن صفات الزوجة الصالحة كما ورد في الحديث الشريف أنه «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»(٣)، كما أن من الصفات المرغبة في الارتباط بالمرأة والزواج منها، أنها تنكح لجمالها كما ورد في الحديث "تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ"(٤) فالجمال المحسوس هنا مقصود، وكذلك حين نتأمل لفظ"طَابَ" من قوله تعالى: "..فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ.."(٥) أي: من طبن لنفوسكم من جهة الجمال والحسن والعقل والصلاح منهن(٦).

- وما في قوله سبحانه: "وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ"(٧) من إشارة ودليل على جواز أن ينظر الرجل إلى من يريد زواجها.. والأمر بالنظر إلى المخطوبة إنما هو على جهة الإرشاد إلى المصلحة، فإنه إذا نظر إليها، فلعله يرى منها ما يرغبه في نكاحها، بدليل ما ذكره أبو داود من حديث جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا خطب

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٧
(٢) سورة البينة، الآية ٥
(٣) سنن ابن ماجه ج١ص٥٩٦
(٤) صحيح البخاري ج٧ص٧
(٥) سوة النساء، الآية ٣
(٦) تفسير القرآن الكريم ٣٠/ ١٢
(٧) سورة الأحزاب، الآية ٥٢

أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل»(١).

- والرخصة في التعدد هنا تلبي واقع الفطرة وواقع الحياة؛ وتحمي المجتمع من الجنوح تحت ضغط الضرورات الفطرية والواقعية المتنوعة إلى الانحلال أو الملال..والقيد يحمي الحياة الزوجية من الفوضى والاختلال ويحمي الزوجة من الجور والظلم؛ ويحمي كرامة المرأة أن تتعرض للمهانة بدون ضرورة ملجئة واحتياط كامل، ويضمن العدل الذي تحتمل معه الضرورة ومقتضياتها المريرة(٢).

- ومن جمال الشريعة هنا تغليب الجمال المعنوي على الجمال المادي، أعني تقديم جمال الدين والخلق على الحرية وجمال الصورة؛ لأن المؤمنة ولو بلغت من الدمامة ما بلغت خير من المشركة، ولو بلغت من الحسن ما بلغت، قال تعالى: "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ"(٣) أي ولأمة مؤمنة على ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر، خير من مشركة حرة على مالها من شرف الحرية ونباهة القدر ولو أعجبتكم بحمالها ومالها وسائر ما يوجب الرغبة فيها؛ إذ بالإيمان يكون كمال دينها، وبالمال والجاه يكون كمال دنياها، ورعاية الدين أولى من رعاية الدنيا إن لم يستطع الجمع بينهما(٤) ومن أحسن ما يختار من ذلك صفة الدين، كما قال النبي ﷺ: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يمينك"(٥) وفي هذه الآية

- أنه ينبغي للإنسان أن يختار قبل النكاح(٦).

جمال الإسلام في تكريم الزوجة:

حيث شرع لها على سبيل الوجوب المهر، وحث على إكرامها، ومراعاة مشاعرها، قال تعالى: "وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً"(٧)، ووجه إلى حسن معاملتها فقال تعالى: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا"(٨) أي وعليكم أن تحسنوا معاشرة نسائكم فتخالطوهنّ بما تألفه طباعهن ولا يستنكره الشرع ولا العرف، ولا تضيقوا عليهن في النفقة ولا تؤذوهن بقول ولا فعل ولا تقابلوهن بعبوس الوجه ولا تقطيب الجبين.. فهذا الأمر "عاشروهن" يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يصاحبها صحبة جميلة بكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة والخلق، وطيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت مثله. كما قال تعالى: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بالمعروف"(٩) وقال رسول الله ﷺ: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"(١٠) وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويضاحك نساءه.. وقال في تعظيم حقهن: {وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً}(١١).

---

(١) التفسير المنير ج٢٢صـ٧٨
(٢) الظلال ج٢صـ٤٨
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٢١
(٤) تفسير المراغي ج٢صـ١٥١
(٥) صحيح البخاري ج٧صـ٧
(٦) تيسير الكريم الرحمن ج١صـ١٦٣
(٧) سورة النساء، الآية ٤
(٨) سورة النساء، الآية ١٩
(٩) سورة البقرة، الآية ٢٢٨
(١٠) سنن ابن ماجه ج١صـ٦٣٦
(١١) سورة النساء، الآية ٢١

المودة والرحمة في الزواج

ومن جميل التشريع وآياته الظاهرة ما خلقه الله بين الزوجين من المودة والرحمة حيث يقول: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً"(١) فهذه آية من آيات الفطرة الإلهية هى أقوى ما تعتمد عليها المرأة في ترك أبويها وإخوتها وسائر أهلها والاتصال برجل غريب عنها تساهمه السراء والضراء وتسكن إليه ويسكن إليها ويكون بينهما من المودة أقوى مما يكون بين ذوى القربى..ذلك الشعور الفطري الذي أودع في المرأة وجعلها تحسّ بصلة لم تُعهد من قبل لا تجد مثلها لدى أحد من الأهل.. هذا هو المركوز في أعماق النفوس، وهذا هو الميثاق الغليظ، فما قيمة من لا يفى بهذا الميثاق، وما هى مكانته من الإنسانية.

إن المودة وحدها آصرة عظيمة وهي آصرة الصداقة والأخوة وتفاريعهما، والرحمة وحدها آصرة منها الأبوة والبنوة، فما الظن بآصرة جمعت الأمرين وكانت بجعل الله تعالى وما هو بجعل الله فهو في أقصى درجات الإتقان(٢).

الطلاق الجميل في الشريعة الإسلامية

إن الإسلام يوصي المسلمين بحسن معاملة المرأة وعشرتها سواء مع استمرار الزوجية أو انتهائها، "فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ"(٣) وقد تكرر هذا التوجيه غير مرة في القرآن حيث قال تعالى: "فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ"(٤) وقال سبحانه: "فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ"(٥)، ومن ألطف العبارات ما ورد به النص الجليل بحث المسلم على الجمال حتى عند الانفصال، قال تعالى: "فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا"(٦) والتسريح الجميل: هو الذى لا ضرر معه. وإنما معه الكلام الطيب، والفعل الحسن، والمعنى: إذا طلقتموهن فأعطوهن من المال ما يجبر خاطرهن، وما يكون عوضا عن فراقهن(٧).

- ومن جميل اللفتات الربانية قوله "وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ"(٨) فقد ذكّر سبحانه أهل الفضل بفضلهم فقال: (وَلا تَنسَوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) أي لا يذهب بكم الغضب والمكايدة إلى درجةٍ لَا تتذكرون فيها ما يكون عندكم من شمم وإباء، وإرادة للتفضل والعطاء، ففي هذه الجملة الكريمة إشارة إلى وجوب التسامح والتعاطف في وقت ذلك الافتراق القاطع، وإلى أنه تجب الرحمة في وقت الانفصال؛ ولذلك صرح سبحانه بأن (العفو) أي ترك بعض الحقوق في ذلك الوقت، أقرب لتقوى الله سبحانه، وأدنى إلى رضاه، لكي يكون الافتراق بمفرده، ولا تكون مشاحة تدفع إلى المشادة، ثم إلى الخصومات التي تورث العداوات، وتستمر الأحقاد بين الأسرتين، وتكون الإحن ومن ورائها المحن(٩).

---

(١) سورة الروم، الآية ٢١
(٢) التحرير والتنوير ج١صـ ٦٤٤
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٢٩
(٤) سورة الطلاق، الآية ٢
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٣١
(٦) سورة الأحزاب، الآية ٤٩
(٧) الوسيط ج١صـ٣٤٣٣
(٨) سورة البقرة، الآية ٢٣٧
(٩) زهرة التفاسير ج٢صـ٨٣٣

- وسوى في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة فقال عز من قائل: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ"(١)، بيان هذا أن للرجل حقوقا وعليه واجبات يؤديها للمرأة، وللمرأة مثل ذلك، وهذه الحقوق والواجبات التي على كل منهما للآخر موكولة إلى اصطلاح الناس في معاملاتهم وما يجرى عليه العرف بينهم، وتابعة لشرائعهم وآدابهم وعاداتهم، فإذا طلب الرجل منها شيئا تذكر أنه يجب عليه شيء آخر بإزائه، ومن ثم أثر عن ابن عباس أنه قال: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لى لهذه الآية، والمراد بالمماثلة أن الحقوق بينهما متبادلة متكافئة، فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله، فهما متماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما متساويان في الشعور والإحساس والعقل، فليس من العدل ولا من المصلحة أن يتحكم أحد الجنسين في الآخر ويستذله؛ لأن الحياة المشتركة بينهما لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه، لكنّ المسلمين نسوا أوامر دينهم وساروا سيرة جاهلية مع نسائهم فكان لذلك أسوأ الأثر في فساد الاسر والبيوت جزاء وفاقا لتركهم عظات شريعتهم وتناسيهم أوامر دينهم(٢).

هذا هو القانون العادل الشامل، نطق به القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا، وقد شرعه الإسلام في وقت لم يعترف أي قانون من قوانين العالم بأن للمرأة أي حق من حقوق، وفرَضت عليها القوانين في العصور الغابرة كل الواجبات، فجاء الإسلام ووضع تلك القاعدة العادلة، وهي أن الحقوق يجب أن تكون متكافئة مع الواجبات، فما على الإنسان من واجبات يكافئ ماله من حقوق، وما من حق إلا تعلق به واجب، فإذا كان للرجل سلطان في البيت وعلى المرأة واجب الطاعة، فلها حق، وهو العدل.. وإذا كانت المرأة قارة في البيت قائمة بشئونه، وفرض عليها ذلك الواجب فلها حق الإنفاق..وإذا كان عليها أن تعد البيت إعدادا حسنا بمقتضى العرف فلها حق المهر.. وإذا كان عليها أن تؤنس زوجها، فعليه ألا يوحشها، وقد أدرك ذلك المعنى الجليل، وهو التساوي بين الحقوق والواجبات الصحابة الأولون، حتى أن ابن عباس كان يقول: (إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي)، وإن التساوي بين الحقوق والواجبات ليس مقصورا على ما بين الرجل والمرأة، بل إنه قانون شامل سنه الإسلام وأيده العقل، وبه يقوم العدل(٣).

جمال الإسلام في المعاملات كالبيع والدَّين وغيره:

إن العلاقة بين الناس في الشريعة الإسلامية محاطة بسياج من التراحم والتعاون ومراعاة الأحوال والظروف المختلفة؛ ولذلك حرم الله الربا؛ لما فيه من الإضرار بالأفراد والجماعات، وشرع الدَّين وبيَّن فضله وأحكامه، وحث على توثيق المعاملات والإشهاد عليها؛ حفاظا على الحقوق؛ وسداً لأبواب الفساد والشرور.

من جمال التشريع الأمر بكتابة الدين والإشهاد عليه وعلى البيع:

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ"(٤) وقال سبحانه: "وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ"(٥) فهذه التوجيهات الكريمة التي وردت في أطول آية في القرآن الكريم، تضمنت من جمال التشريع الإسلامي

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٨
(٢) تفسير المراغي ج٢ص١٨٣
(٣) زهرة التفاسير ج٢ص٧٨٦
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨٢
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٨٢

اهتمام القرآن بنظام أحوال المسلمين في أموالهم ببيان التوثيقات المالية من الإشهاد، وما يقوم مقامه وهو الرهن والائتمان.. وإن تحديد التوثق في المعاملات من أعظم وسائل بث الثقة بين المتعاملين، وذلك من شأنه تكثير عقود المعاملات ودوران دولاب التمول(١).

من جمال التشريع الإسلامي إنظار المعسر:

وإنظار المعسر تشريع جميل؛ لما فيه من الرحمة واليسر، ومراعاة الأحوال والظروف التي تنتاب الناس، فلا نشق عليهم ولا نشدد عليهم ولا نعسر عليهم "وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ"(٢)، (عن أنس-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله ﷺ: (يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا)(٣).

من جمال التشريع الإسلامي حل البيع وتحريم الربا:

قال تعالى"وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا"(٤) فقد أحل الله البيع للحاجة الماسة إليه؛ ولما فيه من المنافع الجليلة، وحرم الربا لما فيه من استغلال للأزمات والضوائق الطارئة، ومن وظيفة المجتمع أن يحمى أبناءه شرور الحاجة، وأن يكفل ضروراتهم الطارئة والملازمة.

جمال الإسلام في معاملة غير المسلمين:

لعل من أبرز صور الجمال في المسلمين تشريعه في معاملة غير المسلمين من أهل الكتاب ومشركين؛ فقد أباح الإسلام لأتباعه الزواج من أهل الكتاب، والأكل من طعامهم، وأوجب عليهم العدل معهم، ونهى عن إيذائهم بقول أو فعل، وهذا بيان موجز لعلاقة المسلمين مع غيرهم.

عدم إكراههم على الدخول في الإسلام:

قال تعالى: "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"(٥)، وقال تعالى: "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ"(٦) وقد تقدم الكلام عن حرية الاعتقاد في موضع سابق بما يغني عن إعادته هنا.

مجادلتهم بالحسنى:

قال تعالى: "وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"(٧) أي: ولا تجادلوا من أراد الاستبصار في الدين من اليهود والنصارى إلا باللين والرفق، وقابلوا الغضب بكظم الغيظ، والشغب بالنصح، والسورة بالأناة(٨)، قال ابن عاشور: ويندرج في «التي هي أحسن» رد تكذيبهم بكلام غير صريح في إبطال قولهم من الكلام الموجه، مثل قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين(٩)، وقوله: وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون(١٠) (١١).

---

(١) التحرير والتنوير ج٣صـ٩٧
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٠
(٣) صحيح البخاري ج١صـ٢٥ واللفظ له، وصحيح مسلم ج٣صـ١٣٥٨
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٧٥
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٦
(٦) سورة الكهف، الآية ٢٩
(٧) سورة العنكبوت، الآية ٤٦
(٨) تفسير المراغي ج٢١صـ٥
(٩) سورة سبأ، الآية ٢٤
(١٠) سورة الحج، الآية ٦٨
(١١) التحرير والتنوير ج١٤صـ٣٣٠

ومن الجمال في الآية أن يأتي التعبير هنا بلفظ (الحسن)، مع كونه بصيغة التفضيل (أحسن) وهي لفتة جميلة في التوجيه القرآني في معاملة غير المسلمين أو في دعوتهم والحوار معهم.

*إنصافهم والتزام العدل معهم [تنزل آيات لتبرئة يهودي]:

قال تعالى: "وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا.."(١) وقال عز من قائل: "وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"(٢) هذا هو التوجيه الرباني والأمر الواجب على الأمة المسلمة في تعاملها حتى مع خصومها وأعدائها، وقد كان المجتمع المدني في حياة الرسول وفي وجوده بينهم مثلاً حياً لتطبيق هذا التوجيه وذلك الأمر، ومن ذلك قصة نزول قوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا. وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا. يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا. هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا"(٣) فجمهور المفسرين على أن هذه الآيات نزلت بسبب حادثة أو قصة رواها الترمذي، وهي القصة المشهورة بقصة ابن أبيرق، حاصلها(٤):

أن إخوة ثلاثة يقال لهم: بشر وبشير ومبشر، أبناء أبيرق، وقيل: أبناء طعمة بن أبيرق، وقيل: إنما كان بشير أحدهم يكنى أبا طعمة، وهم من بني ظفر من أهل المدينة، وكان بشير شرهم، وكان منافقا يهجو المسلمين بشعر يشيعه وينسبه إلى غيره، وكان هؤلاء الإخوة في فاقة، وكانوا جيرة لرفاعة بن زيد، وكانت عير قد أقبلت من الشام بدقيق، فابتاع منها رفاعة بن زيد حملا منه لطعامه، وكان أهل المدينة يأكلون دقيق الشعير، فإذا جاء الدرمك (الدقيق) ابتاع منه سيد المنزل شيئا لطعامه فجعل الدرمك في مشربة له وفيها سلاح، فعدا بنو أبيرق عليه فنقبوا مشربته وسرقوا الدقيق والسلاح، فلما أصبح رفاعة ووجد مشربته قد سرقت أخبر ابن أخيه قتادة بن النعمان بذلك، فجعل يتحسس، فأنبئ بأن بني أبيرق استوقدوا في تلك الليلة نارا، ولعله على بعض طعام رفاعة، فلما افتضح بنو أبيرق طرحوا المسروق في دار أبي مليل الأنصاري. وقيل: في دار يهودي اسمه زيد بن السمين، وقيل: لبيد بن سهل، وجاء بعض بني ظفر إلى النبيﷺ، فاشتكوا إليه أن رفاعة وابن أخيه اتهما بالسرقة أهل بيت إيمان وصلاح، قال قتادة: فأتيت رسول الله، فقال لي «عمدت إلى أهل بيت إسلام وصلاح فرميتهم بالسرقة على غير بينة». وأشاعوا في الناس أن المسروق في دار أبي مليل أو دار اليهودي. فما لبث أن نزلت هذه الآية، وأطلع الله رسوله على جلية الأمر، معجزة له، حتى لا يطمع أحد في أن يروج على الرسول باطلا.. هذا هو الصحيحفيسوق هذا الخبر.(٥)

قال القرطبي: (في هذه الآية تشريف للنبيﷺوتكريم وتعظيم وتفويض إليه وتقويم أيضًا على الجادة في الحكم، وتأنيب على ما رفع إليه من أمر بني أُبيرق).(٦) اهـ.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢
(٢) سورة المائدة، الآية ٨
(٣) سورة النساء الآيات ١٠٥: ١٠٩
(٤) الرواية عند الترمذي وحسنها الألباني وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص
(٥)
(٦) تفسير القرطبي ج٥ص٣٧٥

وأقول: أليس من قمة الجمال أن تتنزل آيات من أجل إنصاف مظلوم من اليهود؟ يقول صاحب الظلال: هذه الآيات تحكي قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً، ولا تعرف لها البشرية شبيهاً..وتشهد - وحدها - بأن هذا القرآن وهذا الدين لا بد أن يكون من عند الله.. إنه في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة، التي تحويها جعبتهم اللئيمة، على الإسلام والمسلمين.. في الوقت الذي كانوا فيه ينشرون الأكاذيب؛ ويؤلبون المشركين.. ويطلقون الإشاعات.. ويشككون في الوحي والرسالة.. والإسلام ناشئ في المدينة، ورواسب الجاهلية ما يزال لها آثارها في النفوس..فيهذا الوقت الحرج، الخطر، الشديد الخطورة..كانت هذه الآيات كلها تتنزل، على رسول الله ﷺوعلى الجماعة المسلمة، لتنصف رجلاً يهودياً، اتهم ظلماً بسرقة؛ ولتدين الذين تآمروا على اتهامه، وهم بيت من الأنصار في المدينة. والأنصار يومئذ هم عدة الرسول ﷺوجنده، في مقاومة هذا الكيد الناصب من حوله، ومن حول الرسالة.. أي مستوى هذا من النظافة والعدالة والتسامي! ثم أي كلام يمكن أن يرتفع ليصف هذا المستوى؟ والنص يطلق الحكم بالعدل بين «الناس» هكذا.. عدلاً شاملاً «بين الناس» جميعاً. لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب. ولا عدلاً مع أهل الكتاب، دون سائر الناس.. وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه «إنساناً».. وذلك هو أساس الحكم في الإسلام(١).

آية تنزل لإقرارهم على ما تحت أيديهم من الأمانة:

هذه الآية الكريمة نزلت على قول بعض المفسرين لتأخذ مفتاح الكعبة بيت الله من يد نبي الله والمؤمنين معه فترده في يد مشرك كافر، يقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا"(٢) قال ابن كثير: ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة.. وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح، ثم رده عليه.. قال محمد بن إسحاق في غزوة الفتح: .. عن صفية بنت شيبة؛ أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها.. وذكر بقية الحديث في خطبة النبي ﷺ يومئذ، إلى أن قال: ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك. فقال رسول الله ﷺ: "أين عثمان بن طلحة؟ " فدعي له، فقال له: "هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء وبر". وعن ابن جريج قوله: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا" قال: نزلت في عثمان بن طلحة قبض منه النبي ﷺ مفتاح الكعبة، فدخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه فدعا عثمان إليه، فدفع إليه المفتاح، قال: وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة، وهو يتلو هذه الآية: فداه أبي وأمي، ما سمعته يتلوها قبل ذلك.. فرده رسول الله مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة وقال: خذوها يا بني طلحة خالدة لا ينزعها منكم أحد إلا ظالم(٣).

---

(١) في ظلال القرآن ج٢صـ٦٨٩

(٢) سورة النساء، الآية ٥٨

(٣) تفسير ابن كثير ج٢صـ٣٤٠، قال ابن حجر في الفتح: وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن صفية بنت شيبة قالت: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح له فدخلها ثم وقف على باب الكعبة فخطب .. وفيه- ثم جلس فقام علي فقال:اجمع لنا الحجابة والسقاية .ومن مرسل عبد الرحمن بن سابط أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان فقال خذها خالدة مخلدة إني لم أدفعها إليكم ولكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم إلا ظالم، ومن طريق بن جريج أن عليا قال للنبي صلى الله عليه وسلم:اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت إن الله يأمركم

أن تؤدوا الامانة إلى أهلها فدعا عثمان فقال خذوها يا بني شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. فتح الباري،ج١٧صـ٢٥،٢٦

الوفاء بعهود هم واحترام المواثيق:

قال تعالى: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ"(١) لقد التزم النبيﷺ والمسلمون بهذه التوجيهات والوصايا، ففي صلح الحديبية التزم بالعهد المبرم بينه وبين قريش، وقد حدث بعد الانتهاء من كتابة وثيقة الصلح والمعاهدة أن جاء أبو جندل بن سهيل بن عمروﷺوهو في قيوده، هاربًا من المشركين في مكة، فقام إليه أبوه سُهيل، فضربه في وجهه وقال: هذا يا محمد أوَّل مَن أُقاضيك عليه أن تردَّه إليَّ، فأعاده النبيﷺ للمشركين، فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أُأرَد إلى المشركين يَفتنوني في ديني؟! فقال له النبيّ ﷺ: (إنا عقَدنا بيننا وبين القوم عهدًا، وإنا لا نَغدر بهم)، ثم طَمْأنه النبيﷺ قائلاً: (يا أبا جندل، اصبر واحتسِب؛ فإن الله جاعل لك ولِمَن معك فرَجًا ومخرجًا)(٠).

البر والإقساط مع المعاهدين منهم:

قال تعالى: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"(٠) أي لا ينها كم الله عن الإحسان إلى الكفار الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم، ولم يعاونوا على إخراجكم.. فأمر الله رسوله بالبر والوفاء لهم إلى مدة أجلهم.

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية والتى بعدها روايات منها، ما أخرجه البخارى وغيره " عن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ»(٠).

وقد وردت بعض الآيات الكريمة كقوله تعالى"وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ"(٠) وما يشبهها من الآيات القرآنية تؤكد النهي عن موالاة غير المسلمين ومودتهم، والتوفيق بينها وبين ما ورد من إباحة مودتهم أن نقول: إن غير المسلمين أقسام ثلاثة: القسم الأول: وهم الذين يعيشون مع المسلمين ويسالمونهم، ولا يعملون لحساب غيرهم؛ ولم يبدر منهم ما يفضي إلى سوء الظن بهم، وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ولا مانع من مودتهم والإحسان إليهم كما في قوله تعالى: "لاَّ يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الذين لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ في الدين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتقسطوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين"(٠) والقسم الثاني: وهم الذين يقاتلون المسلمين، ويسيئون إليهم بشتى الطرق، وهؤلاء لا تصح مصافاتهم، ولا تجوز موالاتهم، وهم الذين عناهم الله في تلك الآية وفيما يشبهها من آيات كما في قوله تعالى: "إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الذين قَاتَلُوكُمْ في الدين وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ على إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فأولئك هُمُ الظالمون"(٠) والقسم الثالث: قوم لا يعلنون

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٨
(٢) مسند أحمد ج٣١صـ٢١٩
(٣) سورة الممتحنة الأيتان ٨، ٩
(٤) صحيح البخاري ج٣صـ١٦٤، وصحيح مسلم ج٢صـ٦٩٦ واللفظ للبخاري
(٥) سورة المائدة، الآية ٥١
(٦) سورة الممتحنة، الآية ٨
(٧) سورة الممتحنة، الآية ٩

العداوة لنا ولكن القرائن تدل على أنهم لا يحبوننا بل يحبون أعداءنا، وهؤلاء يأمرنا ديننا بأن نأخذ حذرنا منهم دون أن نعتدي(١).

إباحة الزواج منهم، وأكل ذبائحهم:

"وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ"(٢) والمعنى: أن الله أحل لكم طعام أهل الكتاب، وذبائحهم، مما لم يرد نص بتحريمه، كما أحل لهم طعامكم، وأحل لكم زواج الحرائر والعفائف من المؤمنات ومن أهل الكتاب.أ.هـ(٣).

---

(١) التفسير الوسيط ج١ صـ١٢٩٨
(٢) سورة المائدة. الآية ٥
(٣) تفسير المنتخب صـ١٤٥

ثانياً: جمال الثواب والجزاء

تحدثنا فيما سبق عن جمال الإسلام في تكاليفه عقيدة وعبادة ومعاملات وأخلاقاً، وبيَّنا كيف كانت تشريعات الإسلام معبرة عن جمال هذا الدين وعظمته، ونتحدث هنا عن ثواب وجزاء هذه التكاليف في الدنيا والآخرة؛ لنرى كيف تناسب جمال التكليف مع جمال الثواب، ثم إنه لا يظن أن الثواب مقصور على الثواب الأخروي المتمثل في الجنة ونعيمها، وإنما هو يشمل ثواب الدنيا والآخرة كما يأتي بيانه، والله المستعان.

١-جمال الثواب والجزاء في الدنيا:

تقدم القول أن الثواب ليس مقصوراً على الثواب الأخروي المتمثل في الجنة ونعيمها، وإنما هو يشمل ثواب الدنيا والآخرة؛ ذلك أن القاعدة التي أقرها القرآن الكريم أن الإيمان الصحيح ودين الحق سبب في سعادة الدنيا(١)، كما أنه سبب في سعادة الآخرة، صحيح أن ثواب الدنيا لا يقارن بثواب الآخرة كما قال الله تعالى: "وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ"(٢)، وقال: "وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ"(٣)، ولكنهما يشتركان في أن كلا منهما وعد الله للمؤمنين الصالحين، وهذه بعض وعود الله الدنيوية العاجلة للمؤمنين.

من جميل الثواب في الدنيا (معية الله):

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"(٤) ونحوه قوله "وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"(٥) وقوله: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"(٦) وقوله: "وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ"(٧) وقوله: "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"(٨)، قد ذكر الله في غير موضع أنه مع الصابرين، والمتقين، والمؤمنين، والمحسنين، والمقصود: أن الله مع المذكورين الموعودين والموصوفين بما سبق بعونه وتوفيقه وتسديده، وهذه المعية هي أعظم زاد وسلاح في الحياة، قال ابن القيّم: المعيّة مع اللّه نوعان: معية عامّة: وهي معيّة العلم والإحاطة المستفادة من قوله عزّ وجلّ: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ"(٩) ومعية خاصّة: وهي الّتي أشار إليها سبحانه في قوله: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ"(١٠) ونحوها.

وهذه المعية الخاصة تستوجب من العبد الأنس بالله عز وجل والثقة بنصره وتأييده، قال قتادة: ومن يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذى لا يضل. وعن أبي علي الدقاق قال: فاز الصابرون بعز الدارين؛ لأنهم نالوا من الله معيته. وكتب بعض السلف إلى أخ له: إن كان الله معك فمن تخاف وإن كان عليك فمن ترجو.

---

(١) المراغي ج٩صـ١٤
(٢) سورة النحل، الآية ٣٠
(٣) سورة النحل، الآية ٤١
(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٣
(٥) سورة الأنفال، الآية ٤٦
(٦) سورة البقرة، الآية ١٩٤
(٧) سورة الأنفال، الآية ١٩
(٨) سورة التوبة، الآية ٤٠
(٩) سورة الحديد، الآية ٤
(١٠) سورة النحل، الآية ١٢٨

ومن جميل الثواب في الدنيا (اطمئنان القلب):

قال تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"(١) فطمأنينة القلب ثمرة عظيمة من ثمار الإيمان والطاعة وذكر الله وقراءة القرآن، فيزول القلق والاضطراب من خشيته، بما يفيضه عليه من نور الإيمان الذي يُذهب الهلع والوحشة، والمقصود بالذكر قولان، أحدهما: أنه القرآن، والثاني: مطلق ذكر الله.. وقد ورد في موضع وصف المؤمنين بالخشوع عند ذكر اللّه، ووصفهم في موضع آخر بالاطمئنان؛ وتأويل ذلك أن الخوف عند ذكر اللّه يحصل عند استحضار وعيد اللّه وعذابه، والاطمئنان يحصل عند ذكر وعد اللّه واستحضار رحمته وسعة عفوه، فلا يكون هناك تعارض بين الآيتين(٢).

ومن جميل الثواب (الحياة الطيبة) في الدنيا:

وعد الله المؤمنين بحياة طيبة هنيئة في الدنيا، كما قال تعالى: "لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ"(٣) أي: للذين آمنوا باللّه ورسوله وأطاعوه، وأحسنوا العمل في الدنيا؛ فلهم في الدنيا مثوبة حسنة من عند اللّه بالنصر والفتح والعزة، ونحوها، قوله "وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً"(٤)، جاء في تفسير الحسنة خمسة أقوال، أحدها: لننزلنهم المدينة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والشعبي، وقتادة، فيكون المعنى: لَنُبوِئَنهم دارا حسنة وبلدة حسنة. والثاني: لنرزقنهم في الدنيا الرزق الحسن، قاله مجاهد. والثالث: النصر على العدو، قاله الضحاك. والرابع: أنه ما بقي بعدهم من الثناء الحسن، وصار لأولادهم من الشرف، ذكره الماوردي، وقد روي معناه عن مجاهد، فروى عنه ابن أبي نجيح أنه قال: {لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} قال: لسان صادق. والخامس: أن المعنى: لنحسنن إليهم في الدنيا(٥).

كما جاء الوعد بالحياة الطيبة في قوله "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً"(٦) وهذه أجمع آية للرجال والنساء في الترغيب بالعمل الصالح، وقد ذكر أكثر المفسرين أن الحياة الطيبة المذكورة هنا إنما هي في الدنيا، وهو مروي عن ابن عباس، ثم فيها للمفسرين تسعة أقوال:

أحدها: أنها القناعة قال علي عليه السلام وابن عباس في رواية والحسن في رواية ووهب بن منبه

والثاني: أنها الرزق الحلال، رواه أبو مالك عن ابن عباس، وعن الضحاك نحوه

والثالث: أنها السعادة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

والرابع: أنها الطاعة، قاله عكرمة

والخامس: أنها رزق يوم بيوم، قاله قتادة

والسادس: أنها الرزق الطيب والعمل الصالح، قاله إسماعيل بن أبي خالد

والسابع: أنها حلاوة الطاعة، قاله أبو بكر الوراق

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢٨
(٢) زاد المسير ج٤صـ٣٤٧، التفسير المنير ج١٧صـ٢١٥
(٣) سورة النحل، الآية ٣٠
(٤) سورة النحل، الآية ٤١
(٥) زاد المسير ج٤صـ ٤٤٨
(٦) سورة النحل، الآية ٩٧

والثامن: العافية والكفاية

والتاسع: الرضى بالقضاء ذكرهما الماوردي(١).

ومن جملة ذلك (إصلاح عملهم وتيسير أمورهم وكفاية الله لهم كل شأنهم): كما في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ"(٢)، وقوله تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا"(٣)، وقوله: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى"(٤) قال عطاء: يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة، وقال السعدي: أي: لكل حالة فيها تيسير أموره وأحواله كلها.. فجعل الله القيام بأمور الدين سبباً لتيسير الأمور، وعدم القيام بها سببا للتعسير(٥).

ويقول سبحانه: "وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ"(٦) أي: وإن تصبروا على مشاق التكاليف فتمتثلوا الأوامر، وتتقوا كل ما نهيتم عنه وحظر عليكم فلا يضركم كيدهم؛ لأنكم قد وفيتم لله بعهد العبودية، فهو يفى لكم بحق الربوبية، ويحفظكم من الآفات والمخافات كما قال سبحانه: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»(٧) أي: من يجعل الله وكيلاً له فالله كافيه، ومن يثق بالله فيما نابه وفوض إليه أمره بعد اتخاذ الأسباب ومنها السعي لكسب الرزق، كفاه ما أهمه في جميع أموره؛ لأن الله هو القادر على كل شيء، الغني عن كل شيء، إن الله يبلغ ما يريده، ولا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب.

وهذه الحياة الطيبة التي تحققت للمؤمن لصلاحه كما قال الله "فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى"(٨)؛ يقابلها بالنسبة للشقي المعيشة الضنك، كما قال تعالى: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا"(٩)، وهذا من فضل الله، أن يجمع للمؤمن العامل للصالحات بين طيب الحياة في الدنيا والنجاة والسعادة في الآخرة.

وينبغي أن يُفرق بين ما عليه المؤمن من حياة طيبة، وما عليه الكافر من نعمة الدنيا، فهذا إنما هو إمهال من الله إياه؛ لأن ملاذ الكافر استدراج؛ ومعيار التفرقة بين النعمة الناشئة عن رضى الله تعالى على عبده وبين النعمة التي هي استدراج لمن كفر به هو النظر إلى حال من هو في نعمة بين حال هدى وحال ضلال؛ قال تعالى في شأن الأولين: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"(١٠) وقال في شأن الآخرين: "أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون"(١١).(١٢)

قال ابن الجوزي: اختلفوا أين تكون هذه الحياة الطيبة، على ثلاثة أقوال:

- أحدها: أنها في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس.

---

(١) زاد المسير ج٤صـ٤٨٨
(٢) سورة الأحزاب الآيتان ٧٠، ٧١
(٣) سورة الطلاق، الآية ٤
(٤) سورة الليل الآيات ٥: ٧
(٥) تيسير اللطيف المنان ج١صـ٣٣٢، ج٢صـ٣٥١
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٢٠
(٧) سورة الطلاق، الآية ٣
(٨) سورة طه، الآية ١٢٣
(٩) سورة طه، الآية ١٢٤
(١٠) سورة النحل، الآية ٩٧
(١١) سورة المؤمنون الآيتان ٥٥، ٥٦
(١٢) التحرير والتنوير ج١٦صـ١٥٥

· والثاني: أنها في الآخرة؛ وذلك إنما يكون الجنة، قاله الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد.

· والثالث: أنها في القبر، رواه أبو غسان عن شريك.

ومن جميل الثواب في الدنيا (حصول البركة في النفس والمال والولد):

قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.."(١)، فالحياة الطيبة، والخير الوفير، والنصر والتمكين والأمن في الحياة والبركة في العيش لهو وعد النبيين لأقوامهم إن هم استجابوا وأطاعوا، وهو مؤكد في غير موضع من القرآن، ومنه قول الله تعالى: "وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ"(٢)، ونظير هذا قوله "وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا"(٣) فجعل الله تعالى التقى من أسباب الرزق، كما في هذه الآيات، ووعد بالمزيد لمن شكر فقال: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"(٤).(٥).

ومن جميل الثواب في الدنيا (الفرج القريب):

قال تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"(٦)، فالفرج القريب والمخرج العاجل من الأزمات وضمان الرزق الواسع من وعود الله لعباده المتقين، وهذه أكبر آية في القرآن فرجاً، فعن النبي – عليه السلام – أنه قال: " إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً – وَقَالَ عُثْمَانُ: آيَةً – لَوْ أَخَذَ النَّاسُ كُلُّهُمْ بِهَا لَكَفَتْهُمْ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَّةُ آيَةٍ؟ قَالَ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا "(٧).

و"مخرجاً" أي، طريقاً للخروج من كرب الدنيا والآخرة، فيجعل الله له مخلصاً مما عسى أن يقع فيه من الغم ويفرج عنه ما يعتريه من الكرب، ويرزقه من جهة لا تخطر بباله ولا يحتسبها، فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب، وهذا دليل على أن التقوى سبيل النجاة من المآزق والهموم والغموم الدنيوية والأخروية وعند الموت، وهي أيضا سبب للرزق الطيب الحلال الواسع غير المتوقع، ويكفي برهانا على أن بالعمل الصالح يتحقق الفرج والخروج من الأزمات ما جاء في قصة يونس عليه السلام، وما قصه الله علينا في قوله: "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ"(٨)، قال السعدي: جعل الله التقوى والسعي والحركة سببا للرزق..وجعل السوابق الحميدة للعبد، وتعرفه لربه في حال الرخاء سبباً للنجاة من الشدائد، وحصول أعظم الفوائد(٩).

ومن جميل الثواب في الدنيا التوفيق للحق:

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ

(١) سورة الأعراف، الآية ٩٦
(٢) سورة هود، الآية ٣
(٣) سورة الجن، الآية ١٦
(٤) سورة إبراهيم، الآية ٧
(٥) التفسير المنير ج٦صـ ٢٥٦
(٦) سورة الطلاق الآيتان ٢، ٣
(٧) رواه ابن ماجه ج٢صـ١٤١١، وضعفه الألباني
(٨) سورة الصافات الآيتان ١٤٣، ١٤٤
(٩) تيسير اللطيف المنان ج١صـ٣٤٦، ج٢صـ٣٥٦

بِهِ.."(١) ويقول: "وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى"(٢) ويقول سبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا"(٣) فهذه نعم جسيمة من نعم الله على عبده في الدنيا، أن ينير له طريق الحق، فيهتدي، ويزيده الله هداية وتوفيقاً في التمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ والخير والشر والحسَن والقبيح والهدى والضلال والنافع والضار، قال ابن عاشور: فُسِّر (الفرقان) هنا: بالتمييز بينهم وبين الكفار في الأحوال التي يستحب فيها التمايز في أحوال الدنيا، فيشمل ذلك أحوال النفس: من الهداية، والمعرفة، والرضى، وانشراح القلب، وإزالة الحقد والغل والحسد، بينهم، والمكر والخداع وذميم الخلائق، وقد أشعر قوله "لَكُمْ" أن الفرقان شيء نافع لهم، فالظاهر أن المراد منه: كل ما فيه مخرج لهم ونجاة من التباس الأحوال وارتباك الأمور وانبهام المقاصد، فيؤول إلى استقامة أحوال الحياة، حتى يكونوا مطمئني البال منشرحي الخاطر، وذلك يستدعي أن يكونوا: منصورين، غالبين، بصراء بالأمور، كَملةَ الأخلاق سائرين في طريق الحق والرشد، وذلك هو ملاك استقامة الأمم، فاختيار (الفرقان) هنا؛ لأنه اللفظ الذي لا يؤدي غيرُه مؤداه في هذا الغرض، وذلك من تمام الفصاحة(٤).

ومن جميل الثواب في الدنيا الإمداد بجنود الله:

قال تعالى: "بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ"(٥)، وقال عز قائلاً: "إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ"(٦)، وهذا ما حصل للمسلمين في بدر، أوقفهم الله على ما اجتنوه من بركات الامتثال والتقوى والصبر، وكيف أيدهم الله بنصره ونصب لهم عليه أمارة الوعد بإمداد الملائكة لتطمئن قلوبهم بالنصر وما لطف بهم من الأحوال(٧).

ومن جميل الثواب في الدنيا (التثبيت):

قال تعالى: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.."(٨) بأن يلقي في روعهم الاطمئنان إلى الحق والجزم به والنطق بمقتضاه، والثبات عليه لَا يحيد عن النطق بالحق والعمل به، والرضا بنتائجه.. ولقد قرر العلماء أن صاحب النفس المطمئنة الراضية بحكم اللَّه المنفذة لتكليفه يلقى اللَّه فيها بالإخلاص، والإخلاص للَّه يجعل النفس تشرق بنور اللَّه، فتدرك فتؤمن فتقول الحق وتعمل.

قال السعدي: يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها(٩).

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢٨
(٢) سورة مريم، الآية ٧٦
(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٩
(٤) التحرير والتنوير ج٦ص١
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٢٥
(٦) سورة الأنفال، الآية ١١
(٧) التحرير والتنوير ج٩ص٣١١
(٨) سورة إبراهيم، الآية ٢٧
(٩) تيسير الكريم الرحمن ص٤٢٥

ومن جميل الثواب في الدنيا الاستخلاف والتمكين وتحقيق الأمان:

وقد وعد الله عباده باستخلافهم وتمكينهم وتأمينهم من المخاوف والأحزان عامة، كما قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا.."(١)، هذه هي أصول دولة الإيمان، تنبئ عن قواعد ومبادئ أهمها الجمع بين الإيمان والعمل الصالح، وثمرتها أولاً: إنجاز وعد الله بالعزة والسيادة في الأرض في الدنيا، ونصرة الإسلام على الكفر، وتمكين هذا الدين المرتضى وهو دين الإسلام في الأرض، أي تثبيته وتوطيده وتأمينه وتأمين أهله وإزالة الخوف الذي كانوا عليه، وثانياً: الظفر برحمة الله في الآخرة(٢).

ومن جميل الثواب في الدنيا (ثناء الله عليهم ومدحهم بأنهم خير الخلق):

قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ"(٣) في منح هذا اللقب البليغ من الله الجليل من التشريف والتكريم لعباده ما لا يخفى؛ فهو ثناء عظيم من الله الكريم على عباده، وتشريف لهم بإعطائهم هذا التكريم على الخليقة كلها، فجعلهم الله خير الخلق قاطبة.. ولما كان الحكم هنا بالخيرية والتفضيل للمؤمنين بكونهم (خير الخليقة) على عموم الخليقة، ما جعل بعض المفسرين يبحثون في مسألة التفاضل بينهم وبين الملائكة، فذكر بعض العلماء ما يدل على أن صالح المؤمنين أفضل من الملائكة، ولعل مما يقوي هذا الاستدلال هو أن بعض أفراد جنس الإنسان أفضل من عموم أفراد جنس الملائكة، وهو الرسول ﷺ، وإذا فضل بعض أفراد الجنس لا يمنع في البعض الآخر، ولكن هل بعض أفراد الأمة بعده أفضل من عموم أو بعض أفراد الملائكة؟ هذا هو محل الخلاف(٤).

ومن جميل الثواب في الدنيا (بلوغ جزاء الإحسان لهم أو لذريتهم من بعدهم):

قال تعالى: "إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"(٥) أي إن الحقَّ الذي نطقت به الشرائع وأرشدت إليه التجارب هو: أن من يتق الله، ويصبر على ما أصابه من المحن والفتن، فلا يستعجل الأقدار بشيء قبل أوانه، فإن الله لن يضيع أجره في الدنيا، ثم سيؤتيه أجره في الآخرة(٦)، وقال السعدي: في الآية بيان لفضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلهما أحسن العواقب.(٧)

ولما كانت المصيبة في الدنيا قد تكون جزاء على فعل الشر؛ فكذلك خيرات الدنيا قد تكون جزاء على فعل الخير، قال تعالى: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.."(٨)، وقال حكاية عن إخوة يوسف: "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥
(٢) التفسير المنير ج١٨صـ ٢٨٧
(٣) سورة البينة، الآية ٧
(٤) بتصرف من أضواء البيان ج٩صـ٥٠
(٥) سورة يوسف، الآية ٩٠
(٦) تفسير المراغي ج١٣صـ ٣٥
(٧) تيسير الكريم الرحمن ج١صـ٤٠٧
(٨) سورة يونس الآيات ٦٢: ٦٤

لَخَاطِئِينَ"(١) أي مذنبين، أي وأنت لم تكن خاطئا، وقال: "فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ"(٢) وقال: "وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا.."(٣)، وقال: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ.."(٤) إلخ الآية وهذا كله لا ينقض الجزاء في الآخرة(٥).

وقال تعالى: "وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا"(٦) فالذي يخاف على ذريته من بعده، فليبق لهم ما ينفعهم، وهو تقوى الله سبحانه وتعالى والقول السديد، فبصلاح الإنسان يصلح الله عز وجل ذريته، وبحفظ الإنسان لتعاليم دين الله سبحانه يحفظ الله عز وجل بيته وأهله وأولاده وذريته من بعده.

وقال سبحانه: "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي"(٧)، عن ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما. قال ابن كثير: فيه الآية دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم.(٨)

٢-جمال الثواب والجزاء في الآخرة

إن الحديث عن الجزاء الأخروي هنا له مذاق آخر، مختلف تماما عن سابقه، فلا يوجد بينهما أية نسبة، فنعيم الجنة دائم، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والحديث عن الجزاء الأخروي هنا يعني الحديث عن الجنة، وعن نعيمها وقصورها، وأنهارها، وطعامها وشرابها.. إلخ، وعن الحور العين، ناهيك عن لقاء الحبيب ﷺ، ثم ما أدراك ما بعد هذا، وما فوق هذا، إنها رؤية وجه الله الكريم، اللهم أكرمنا، وارزقنا من فيض جودك وكرمك وإحسانك،

أوصاف الجنة في القرآن:

وصف الله الجنة التي أعدت للمؤمنين الذين عملوا الصالحات بأوصاف كثيرة، وذكر بما فيها من القصور والأنهار والعيون..إلخ، وهذا بيانه بإيجاز:

أنهار الجنة:

قال جل شأنه: "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ"(٩).

أفادت الآية السابقة أن هناك أربعة أنواع للأنهار في الجنة وهي:

١) أنهار من ماء غير متغير اللون والريحة والطعم.

---

(١) سورة يوسف، الآية ٩١
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٨
(٣) سورة الكهف، الآية ٨٢
(٤) سورة النور، الآية ٥٥
(٥) التحرير والتنوير ج٢٥صـ١٠٢
(٦) سورة النساء، الآية ٩
(٧) سورة الكهف، الآية ٨٢
(٨) تفسير ابن كثير ج٥صـ١٨٦
(٩) سورة محمد، الآية ١٥

٢) أنهار من لبن لا يتغير إلى الحموضة كما في ألبان الدنيا وما يصيبها من فساد إذا ما وضعت في درجة حرارة منخفضة.

٣) أنهار من خمر طعمه لذيذ وليس فيه ذهاب للعقل مثل ما يفعل خمر الدنيا.

٤) أنهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع كما يوجد في عسل النحل الذي يوجد في الدنيا(١).

= وهناك أيضا نهر الكوثر قال تعالى: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ"(٢)

وقد ورد وصفه في البخاري ومسلم بما يلي:

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ "(٣).

عيون الجنة:

ذكرت العيون التي توجد في الجنة في عدد من الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ.فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ"(٤) وقوله سبحانه: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ"(٥) وقوله عز من قائل: "فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ "(٦) وقوله تعالى: "فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ "(٧) والمقصود بـــ(نضاختان) أي فوارتان لا ينقطع عنهما الماء أبدا.(٨) وقوله تعالى: "إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا.عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا "(٩).

قال الزحيلي في الوسيط: وأما المؤمنون الأبرار الذين جمعوا بين الصدق والطاعة والإخلاص فهم يشربون شرابا ذا رائحة أو كأسا من خمر الجنة، الممزوجة بالكافور (وهو طيب معروف له رائحة جميلة) وهذا الشراب نابع من عين جارية عذبة يشرب منها عباد اللّه الصالحون، تتبع بأمرهم، ويجرونها إلى حيث أرادوا من منازلهم وقصورهم.(١٠)

وقد ذكرت أسماء بعض العيون في الجنة في عدد من الآيات، وهذا ما توضحه الآيات القرآنية الآتية:

قال تعالى: "عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً"(١١) أي: أن هؤلاء الأبرار-بجانب كل ما تقدم من نعم-يسقون في الجنة من كأس مليئة بالخمر، وهذه الخمر التى يشربونا ممزجة بالزنجبيل، فتزداد لذة على لذتها..ويسقون-أيضا-من عين فيها-أي: في الجنة-تسمى سلسبيلا، وذلك لسلاسة مائها ولذته وعذوبته، وسهولة نزوله إلى الحلق.(١٢)

---

(١) الإبداع الإلهي بين الجمال والجلال، صـ١٩٣ وما بعدها
(٢) سورة الكوثر، الآية ١
(٣) صحيح البخاري ج٨صـ١٢٠
(٤) سورة الدخان، الآية ٥٢
(٥) سورة المرسلات آية ٤١
(٦) سورة الغاشية، الآية ١٢
(٧) الرحمن آية ٦٦
(٨) الإبداع الإلهي بين الجمال والجلال. صـ١٩٤ وما بعدها
(٩) سورة الإنسان الآيتان (٥ - ٦)
(١٠) التفسير الوسيط للزحيلي ج٣صـ٢٧٩٠
(١١) الإنسان آية ١٨
(١٢) التفسير الوسيط ج١٥صـ٢٢٣

قال تعالى: "وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ"(١) والتسنيم: علم لعين في الجنة مسماة بهذا الاسم، وهذا اللفظ مصدر سنمه إذا رفعه. يقال: سنم فلان الطعام. إذا جعله كهيئة السنام في ارتفاعه.. وسميت هذه العين بهذا الاسم؛ لأنها تنبع من مكان مرتفع، أو لعلو مكانتها.

وعين التسنيم أعلى أشربة أهل الجنة، يشرب منها هؤلاء المقربون صرفا، وتمزج لأصحاب اليمين مزجا في بقية أشربة الجنة، التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه كما قال تعالى: "وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ.عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ"(٢)

وقال سبحانه: "فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ"(٣) قال الزحيلي في المنير: أي في كل واحدة من الجنتين عين جارية، فيهما عينان تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان، فتثمر من جميع الألوان. قال الحسن البصري: إحداهما يقال لها: تسنيم، والأخرى السلسبيل.(٤)

ملابس أهل الجنة:

قال تعالى: "يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ"(٥) قال في همیان الزاد: قيل عن رسول الله ﷺ: إن الرجل من أهل الجنة لو بدا سواره لغلب على ضوء الشمس وذكروا أنه ما من أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ؛ لقوله تعالى: "يحلون فيها من أساور من ذهب" وقوله سبحانه وتعالى: "وحلوا أساور من فضة"(٦)، وقوله سبحانه: "ولباسهم فيها حرير"(٧) "وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً"(٨) لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة وينفتح لها القلب مالا ينفتح لغيره. {مِنْ سُنْدُسٍ} الحرير الرقيق. {وَإِسْتَبْرَقٍ} الحرير الغليظ جمع لهم فيها بين النوعين تلذيذا لهم بما تشتهيه النفس وتلذه العين وذكر ذلك ترغيبا في الجنة فيتوصل إليها بالإيمان والأعمال الصالحات.(٩)

وقال تعالى: "يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ"(١٠)، جاء في المنتخب: أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة فإن الله يدخلهم جنات تجرى من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ينعمون فيها صنوف النعيم، وتزينهم الملائكة بأساور الذهب وباللؤلؤ، أما لباسهم المعتاد فمن حرير.(١١)

وقال تعالى: "يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ"(١٢)، قال الزحيلي في المنير: وَلِبَاسُهُمْ

---

(١) المطففين آية ٢٧
(٢) تيسير اللطيف المنان ٣٣١
(٣) سورة الرحمن، الآية ٥٠
(٤) التفسير المنير للزحيلي ج٢٧ص٢٢٤
(٥) سورة الكهف، الآية ٣١
(٦) سورة الإنسان، الآية ٢١
(٧) سورة الحج، الآية ٢٣
(٨) سورة الكهف، الآية ٣١
(٩) همیان الزاد ج٧ص٤٧٩
(١٠) سورة الحج، الآية ٢٣
(١١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ج١ص٤٩١
(١٢) سورة فاطر، الآية ٣٣

فِيها حَرِيرٌ أي يدخل هؤلاء المصطفون جميعا جنات الإقامة الدائمة يوم المعاد، التي يحلّون فيها أساور من ذهب مرصع باللؤلؤ، ويكون لباسهم حريرا خالصا، وقد أباحه اللّه تعالى لهم في الآخرة، بعد أن كان محظورا عليهم في الدنيا.(١)

وقال تعالى: "عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ"(٢) أَيْ لِبَاسُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا الْحَرِيرُ وَمِنْهُ سُنْدُسٌ وَهُوَ رَفِيعُ الْحَرِيرِ كَالْقُمْصَانِ وَنَحْوِهَا مِمَّا يَلِي أَبْدَانَهُمْ، وَالْإِسْتَبْرَقُ مِنْهُ مَا فِيهِ بَرِيقٌ وَلَمَعَانٌ وَهُوَ مِمَّا يَلِي الظَّاهِرَ كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ فِي اللِّبَاسِ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَهَذِهِ صِفَةُ.(٣)

أثاث بيوت أهل الجنة:

لقد جعل الله عز وجل مساكن أهل الجنة بأشكال عدة متمثلة بين السرر والفراش والأكواب والصحاف الذهب.
قال تعالى: "يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ"(٤) وقال عز قائلاً: "عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ"(٥) وقال جل جلاله: "مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ"(٦) وقال تعالى: "مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ"(٧) وقال تعالى: "عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ"(٨) وقال سبحانه وتعالى: "مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ"(٩) وقال وقال سبحانه: "فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ".
و"السرر" جمع "سرير" وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة.
{وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون.
{وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} أي: وسائد من الحرير والاستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، ويصفوها بأنفسهم.
{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} والزرابي [هي:] البسط الحسان، مبثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب(١٠).
وخلاصة ما ذكر من وصف جمال الجنة ما يلي:
- كثرة أنهارها وعيونها.
- تنوع هذه الأنهار والعيون
- فيها الحور العين
- جمال ملابس أهلها

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ج٢٢صـ٢٦٧
(٢) سورة الإنسان، الآية ٢١
(٣) تفسير ابن كثير ج٨صـ٢٩٩
(٤) سورة الزخرف، الآية ٦١
(٥) سورة يس، الآية ٥٦
(٦) سورة الرحمن، الآية ٥٤
(٧) سورة الرحمن، الآية ٧٦
(٨) سورة الواقعة، الآية ١٥
(٩) سورة الواقعة، الآية ١٦
(١٠) تيسير الكريم الرحمن ج١صـ٩٢١

- فيها الحور العين

- جمال ملابس أهلها

حيث ذكر الحرير والإستبرق

- جمال أثاث أهل الجنة

حيث ذكرت:

-السرر المرفوعة

-الأواني الفضية

*جمَال الحور العين:

ذكر الله-جل جلاله-في وصف الحور العين في الآخرة من أوصاف الحسن والجمَال ما يرغِّب المسلم فيهن، ويجعله أشد حرصاً على عمل الصالحات، وأكثر رغبة في فعل الخيرات، ومجمل ما ورد من أوصافهن الجميلة، ومزاياهن الحسنة.

ومجمل صفات الحور العين الجميلة كما ورد في الآيات ما يلي:

١ - أنهن صافيات وأنهن في صفائهن وحسنهن كصَفاء الدُّرّ الَّذي في الأصْدَافِ الَّذي لا تَمَسُّهُ الأيْدي؛ حيث شبههن بالياقوت، وباللؤلؤ المكنون: في قوله تعالى: "وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ"(١)، وقوله سبحانه وتعالى: "كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ".(٢)

٢ - أنهن بيض؛ حيث شبههن بالمرجان.

٣ - أنهن لا يبتغين ولا يُرِدْنَ غَيْرَ أزواجهن، ولا يمددن أبصارهن إلى غيرهم؛ حيث وصفهن بأنهن (قاصرت الطرف) أي: قصرن أبصارهنّ وقلوبهنّ وأسماعهنّ على أزواجهنّ: في قوله سبحانه وتعالى: "فيهن قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ"(٣)، وقوله سبحانه وتعالى: "وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ".(٤)

٤ - أنهن مستويات في السن، يعني: أنهن في سن أو أسنان واحدة؛ حيث وصفهن بـ (أتراب).

٥ - أنهن نجّل العيون عِظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمتها، وهي أحسن ما تكون من العيون؛ حيث وصفهن بقوله"عين".

٦ - أن وجوههن جميلة حسنة؛ حيث ورد وصفهن بأنهن"حسان": في قوله: "فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ".(٥)

٧ - أنهن عَذَارَى أبكار، لم يمسسهن أحد قبل أزواجهن، لا جن ولا إنس، أو أنه لا يأتيها إلا وجدها بكراً؛ حيث ورد وصفهن بأنهن "أبكار" وأنهن "لم يطمثهن إنس قبلهم" أي قبل أزواجهن "ولا جان": في قوله سبحانه وتعالى: "لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ".(٦)

٨ - أنهن عاشقات لأزواجهن أي متحببات إليهنّ فيحسنّ التبعل؛ حيث وصفهن بأنهن"عرب": في قوله: "عُرُبًا

(١)سورة الواقعة، الآية ٢٢: ٢٣
(٢) سورة الرحمن، الآية ٥٨
(٣)سورة الصافات، الآية ٤٨
(٤)سورة ص، الآية ٥٢
(٥)سورة الرحمن، الآية ٧٠
(٦)سورة الرحمن، الآية ٧٤

أَتْرَابًا".(١)

٩ - أنهن شابات حسناوات جميلات، شديدة بياض البدن، شديدة سواد العين؛ حيث وصفهنبأنهن"حور": في قوله تعالى: "وَحُورٌ عِينٌ".

١٠ - أنهن مصُونات، لا متعطلات ولا متشوِّفات، قد قصرن في أماكنهن، والنساء تمدح بذلك؛ إذ ملازمتهن البيوت تدل على صيانتهن؛ حيث وصفهن بكونهن"مقصورات في الخيام": في قوله سبحانه وتعالى: "حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ"(٢).

المبحث الرابع

جمال الكون

إن حديث القرآن الكريم عن الكون ودقة صنعته والإبداع فيه يشغل قدراً كبيراً من الآيات والسور، لقد تحدث القرآن فيما تحدث عن الصنع المتقن، والوظيفة الحيوية التي لا تختل، ولكنه مع هذا لم يغفل جانب الصورة، جانب المظهر، أعني الشكل الجميل والمنظر الحسن والهيئة الطيبة..إن الوظيفة الحيوية لكل كائن في هذا الوجود هي من أهم أسباب وجوده، ولكن الحكمة والغرض من خلقه ووجوده ليست محصورة فيها، ولا قاصرة عليها؛ لأن هنالك مقاصد تابعة ليست هينة أو قليلة، ومنها منظرها وشكلها وهيأتها الغضة التي تعود على نفس الإنسان وروحه ووجدانه بالسعادة والبهجة، إن جمال الطبيعة أمرٌ مشاهَد وملموس؛ فهذه الطبيعة الخلابة التي أبدعها الله ﷻ على غير مثال، والتي يحيى الإنسان فيها، ويقلب نظره بين أنواعها في كل لحظة؛ من سماء وأرض، وجبال وأنهار، كلها تدل على خالقها ومبدعها، بما فيها من جمال رائع، ودقة متناهية، هذا الجمال الذي يزيد به الله-سبحانه وتعالى-المؤمنين إيماناعلى إيمانهم، ويقيناً بربهم وخالقهم، قال عز من قائل: "وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ"(٣)، "ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ"(٤)، "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.."(٥)، ومن أهم مظاهر الجمال ومقوماته خلو الشيء من العيوب، وهذا ما كشفت عنه الآيات التي تحدثت عن الخلق عامة في قوله عز من قائل: "..مَا تَرَىفِيخَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ.."(٦) قال صاحب الظلال: كل خلق، مصنوع ليؤدي دوره المقسوم له..كل شيء حيثما امتد البصر متقن الصنع، بديع التكوين، يتجلى فيه الإحسان والإتقان..ترىالحسن والإحسان في هذا الوجود بتجمعه؛ وتراه في كل أجزائه وأفراده. والتأمل في خلق الله حيثما اتجه النظر أو القلب أو الذهن، يمنح الإنسان رصيداً ضخماً من ذخائر الحسن والجمال(٧).

حديث القرآن عن الشكل الجمالي في الإنسان:

وقد جمّل الله الإنسان وكرّمه وسوى خلقه وجعله في أحسن تقويم، وأحسن صورته، قال تعالى: ".. وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ.."(٨) وقال سبحانه: "الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ.في أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ"(٩) وقال عز من قائل: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"(١٠) فحديث القرآن عن خلق الإنسان يجيء على وجهين: الأول: حديثه

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٣٧:٣٥
(٢) سورة الرحمن، الآية ٧٢
(٣) سورة يس، الآية ٨١
(٤) سورة السجدة الآيتان ٦: ٧
(٥) سورة البقرة، الآية ١١٧
(٦) سورة الملك، الآية ٣
(٧) في ظلال القرآن ج٥صـ٢٨٠٨
(٨) سورة غافر، الآية ٦٤
(٩) سورة الأنفطار الآيتان ٧: ٨
(١٠) سورة التين، الآية ٤

عن مادة خلقته، والثاني: حديثه عن الصورة التي خلقه الله عليها، قال: ذكر اللّه تعالى في سورة التين أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهذا بيان للصورة، وذكر هنا أنه: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ وهذا بيان للمادة[1]، كما أن الإنسان يجمع بين الجمال المادي المتطق بالصورة، والجمال الروحي المتعلق بالأخلاق والخصال الحميدة، من كرم، وشجاعة، ووفاء..إلخ كما يأتي بيانه آنفاً، يقول أبو زهرة: (الجمال): هو الصورة التي تكون متناسقة وتؤثر في النفس، ويكون في الخلق والتكوين، كما ترى في جمال الأشخاص والصور والمناظر وتنفعل به النفس في إحساس بالسرور والارتياح، ويكون في جمال الطبائع السليمة الطيبة، ويكون في المعاني والصور النفسية.[2]

(١) التفسير المنير ٣٠/ ٣١١
(٢) زهرة التفاسير ج٨صـ٤١٣٢

حديث القرآن عن جمال السماء:

حين تحدث القرآن عن خلق السماء في أكثر من موضع، تحدث عن إحكامها وإتقانها ودقتها "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ"(١)، كما تحدث عن شكلها، عن صورتها، أعني جمالها الشكلي، أعني لمسة الجمال والروعة فيها، قال تعالى: " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ.."(٢)، فالقرآن الكريم هنا لا يتحدث عن صنعها العجيب باعتبارها السقف المحفوظ المحكم، هو هنا لا يتحدث عن السماء التي رفعت بغير عمد، إنما هو هنا يتحدث عنها وفي هذا الموضع وأمثاله عن الإبداع في الهيئة والمظهر الجميل، الإبداع باعتبار الصورة والشكل، فهو سبحانه "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"(٣)، ولما كان من مظاهر ومقومات الجمال خلو الشيء من الخلل والعيب؛ فقد بين الحق جل جلاله هذا في قوله عز قائلا: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ"(٤)، إذن فقد كان الحديث عن السماء في القرآن من حيثيتين:

- الأولى: الوظيفة الحيوية.
- الثانية: الجانب الجمالي.

وهذه بعض الآيات التي تعنى بالحيثية الثانية التي هي مقصدنا من هذا الموضوع:

"وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ"(٥)، "إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ"(٦)، "أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ"(٧)، "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ. وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ"(٨).

قال في الظلال: إن الإنسان ليرى الحسن، ويستشعر البهجة، ويدرك المسرة في كل ركن من أركان هذا الكون الذي سوّاه الخالق الأعظم؛ فالجمال يُرى في الأرض وفى السماء وفى البحار..يرى التناسق الذي لا عوج فيه ولا فطور! إنها رحلة ممتعة في هذا الوجود الجميل الصنع البديع التكوين؛ يلفتنا القرآن إليها لنتملاها، ونستمتع بها وهو يقول: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}..فيوقظ القلب لتتبع مواضع الحسن والجمال في هذا الوجود الكبير(٩).

حديث القرآن عن جمال الأرض:

الأرض هي ميدان المعركة التي خلقها الله للإنسان"وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ"(١٠)، والتي تنتهي بنهاية العمر، وتنتهي نهائيا بقيام الساعة، حيث يومها: "..يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ.."(١١) وقد خلقها الله كما خلق السماء

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٢
(٢) سورة الملك، الآية ٥
(٣) سورة الأنعام، الآية ١٠١
(٤) سورة الملك الآيتان ٣: ٤
(٥) سورة الحجر، الآية ١٦
(٦) سورة الصافات، الآية ٦
(٧) سورة ق، الآية ٦
(٨) سورة الملك الآيات ٣: ٥
(٩) في ظلال القرآن ج٥ص٢٨٠٩
(١٠) سورة الرحمن، آية ١٠
(١١) سورة إبراهيم، آية ٤٨

فجعلها آية وأبدعها إبداعا ليس له مثيل، كما قال سبحانه: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ"(١) وقال ﷻ: "..فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.."(٢)، أي مبدعهما على غير مثال سابق، وسخرها الله بما عليها للإنسان حيث قال: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا.."(٣)، "وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ.."(٤)، وجعلها الله له فراشا ومستقرا، قال ﷻ: ".. وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ"(٥)، "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"(٦)، وعلى الرغم من حديث القرآن عن الأرض باعتبارها الفراش والمستقر للإنسان لأجل مسمى يحمله وتسخر له بما عليها، إلا أن القرآن الكريم لا يغفل الحديث عن شكلها الحسن، ومنظرها الجميل، كما في قوله ﷻ: "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"(٧) فمد الأرض وتثبيتها وخلق الأزواج التي تبهج النفوس زيادة على الوظيفة الحيوية التي هي الوظيفة الأساس للأرض، وهذا الخلق العظيم تحدى الله به المشركين وأنكر عليهم أن يغفلوا عن عظمته: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ.."(٨).

وهذه صورة جمالية أخرى للأرض حين تكون جدباء ميتة فتتنزل عليها الأمطار فتحيا"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(٩)، ويقول سبحانه: "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا.."(١٠).

حديث القرآن عن الشكل الجمالي في الجبال:

إن الله جعل الجبال كالأوتاد للأرض، لئلا تميد أو تضطرب بمن عليها، قال تعالى: "والجبال أوتادا"(١١)، ".. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ.."(١٢) فحين يتحدث القرآن عن الجبال التي أرساها ونصبها فهو يتحدث عن وظيفتها ودورها الأساس؛ ولكنه حين يتحدث عن أشكالها وألوانها فهو يتحدث عن صورتها الجميلة الخلابة، وألوانها المتعددة، قال جل وعلا: "..وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ"(١٣).

قال في الظلال: إن اللفتة إلى ألوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها إلى جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي، التي تنظر إلى الجمال نظرة تجريدية فتراه في الصخرة كما تراه في الثمرة، على بعد ما بين طبيعة الصخرة وطبيعة الثمرة، وعلى بعد ما بين وظيفتيهما في تقدير الإنسان.(١٤)

عناية القرآن بالصورة الجميلة في النبات:

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٠
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٤
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٩
(٤) سورة الجاثية، الآية ١٣
(٥) سورة البقرة، الآية ٣٦
(٦) سورة غافر، الآية ٦٤
(٧) سورة ق، الآية ٧
(٨) سورة الأحقاف، الآية ٤
(٩) سورة فصلت، الآية ٣٩
(١٠) سورة الكهف، الآية ٧
(١١) سورة النبأ، الآية ٧
(١٢) سورة لقمان، الآية ١٠
(١٣) سورة فاطر، الآية ٢٧
(١٤) في ظلال القرآن ج٥ص٢٩٤٢

النبات وظيفته الأصيلة هي الغذاء والتناول، وبجانب هذا فإنه للاستمتاع بشكله وصورته الجميلة، قال سبحانه: "والنخل باسقات لها طلع نضيد"(١) وقوله "وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا"(٢) وقوله"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ"(٣) وقوله "وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"(٤)

يقول الشيخ المراغي: وترى الأرض يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع، فإذا نحن أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات وازدادت وانتفخت، لما يتداخلها من الماء والنبات، ثم أنبتت أنواعا يسر الناظرين بديع منظرها، وجميل شكلها، واختلاف طعومها وروائحها، ومقاديرها ومنافعها.(٥)

إذن فالوظيفة التي تؤديها النباتات والأشجار والزروع والثمار ليست هي الغذاء والإشباع فحسب؛ بل إن هنالك وظيفة أخرى تبعث في النفس والقلب وتمد الروح بالنشاط والحيوية والسعادة والراحة النفسية، وهذه من فوائد الجمال وثماره.

عناية القرآن بالجانب الجمالي في الحيوانات:

قال ﷻ: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"(٦) خلقت الحيوانات وسخرت للإنسان لينتفع بها ركوبا وغذاء، لكن الآية الكريمة هنا تدعو إلى النظر والتأمل في خلقتها؛ لما فيها من جمال وزينة يشيع في النفس البهجة بشكلها الجميل وخلقتها البديعة، قال ﷻ: "وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً.."(٧)، قال الزمخشري: منَّ اللَّه بالتجمل بها، كما من بالانتفاع بها؛ لأن من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها؛ لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة، فزينت بتسريحها الأفنية، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء أنس أهلها وفرح أربابها وأجملها في عيون الناظرين إليها وأكسبتهم الجاه والحرمة ونحوه.(٨)

وقال ﷻ: "وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ"(٩)، يقول الشيخ أبو زهرة: إن في منظر قطعان الإبل والغنم والبقر وهي سارحة متجهة إلى مراعيها، ما يشرح النفس؛ لأن منظر الحياة في الأحياء يفرح النفس، ويلقي فيها بهجة، ومنظرها وهي عائدة ريانة بالشبع والسقي يعطي ارتياحا أشد، وقد ذكر رواحها، قبل سراحها مع أن الرواح خاتمة اليوم والسراح ابتداؤه؛ لأن الإحساس بالجمال في الرواح أشدّ، إذ تكون مزدهرة مملوءة بالشبع، ورواحها يكون أشد، وجمالها أوقع في نفس صاحبها؛ لأنه يكون بعد تعب رعيها والإشراف عليها، ولأنه يكون بعد انتصارها على مطامعها، وإشباع حاجتها.(١٠)

كما ذكر سبحانه وتعالى وصف البقرة وصفاً جمالياً؛ حيث بين أنها تبهج بحسنها النفس، وتسر بلونها الناظرين، في قوله تعالى: "إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ" قال الرازي: الْمَعْنَى: إِنَّ هَذِهِ الْبَقَرَةَ

---

(١) سورة ق، الآية ١٠
(٢) سورة النمل، الآية ٦٠
(٣) سورة الحج، الآية ٦٣
(٤) سورة الحج، الآية٥
(٥) تفسير المراغي ج١٧ص٨٩
(٦) سورة الغاشية، الآية ١٧
(٧) سورة النحل، الآية ٨
(٨) تفسير الزمخشري ج٢ص٥٩٤
(٩) سورة النحل، الآية ٦
(١٠) زهرة التفاسير ج٨ص١٣٣٤

لِحُسْنِ لَوْنِهَا تَسُرُّ مِنْ نَظَرِ إِلَيْهَا.. وقال ابن جزي: "تَسُرُّ النَّاظِرِينَ" لحسن لونها، وقيل لسمنها ومنظرها كله.(١)

وهذه صورة جمالية رسمها القرآن للطير ومنظره الرائع حين يحلق في السماء صفوفا: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ.."(٢) أي تطير في الفضاء تسير صافات، أي في صفوف متتالية ومتوازية، الأجنحة وراء الأجنحة، كما ترى في أسراب الحمام وغيرها من الطير من انتقالها من مكان إلى مكان متآخية منتظمة في صفوف، وذلك من إلهام العلي الخبير لها (٣) فإن إعطاء الجرم الثقيل القوة التي بها يقوى على الوقوف في جو السماء صافة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط من أعظم الدلائل على قدرة الصانع المدبر سبحانه وجعل طيرانها سجوداً منها له ﷻ.(٤)

---

(١) مفاتيح الغيب ج٣١صـ٥٤٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ج١صـ٨٦
(٢) سورة النور، الآية٤١
(٣) زهرة التفاسير ج١٠صـ٥٢٠٣
(٤) مفاتيح الغيب ج٢١صـ٣٥٠ بتصرف

المطلب الخامس

جمال الإنسان

لما كان الإنسان هو المعنيّ والمقصود بكل ما خلق في هذا الكون، وأن الكائنات كلها من سماء وأرض وشمس وقمر ونجوم وليل ونهار وجبال وأنهار..جميعها قد سخرت من أجله، بدليل قوله عز وجل: "وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ.."(١) فقد آثرت أن أفرده بالحديث في هذا المبحث، وأن أبين علاقة الإنسان الجمالية بهذا الكون، وأثر المنهج الرباني في تجميل الإنسان وتكريمه.

وإذا كنا قد تحدثنا من قبل عن الإنسان باعتباره آية باهرة من صنع الله، قد جمّله الله بالشكل الحسن، والقوام المعتدل، وكرّمه وفضّله على كثير ممن خلق، وأمده بوسائل الإدراك من سمع وبصر، وكمّله بالعقل والعلم؛ وأرسل له الرسل، وأنزل عليه الكتب، وأمدّه بالمنهج والشرع؛ ليستقيم على طريق الحق؛ وليرتقي في مدارج الأخلاق الكريمة، وها نحن أولاء نتلمس بعضاً مما دعا إليه الإسلامُ الإنسانَ، سواء في أصول الدين وفروعه، أو السلوك القويم، أو الخلق الكريم؛ لتسمو روحه، ويرشد عقله، وتصفو نفسه، ويعذب لسانه، ويتهذب سلوكه، وقد وجّه الإسلامُ الإنسانَ وحثّه على أن يكون جميلاً في مظهره وشكله، وفي طباعه وأفعاله وأقواله، وبيان ذلك ما يأتي:

أولاً: توجيهات الإسلام للإنسان بحفظ بدنه ورعاية صحته وتجميل مظهره

امتنّ الله ﷻ على الإنسان بصور متعددة للجمال، منها: حسن الصورة، كما قال تعالى: "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"(٢)، وقال ﷻ: "لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"(٣)، والقوام المعتدل، كما قال ﷻ: "يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ.الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ.فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ"(٤)، وأمده بالوسائل الضرورية فمنحه كل ما يحتاج إليه للرؤية والإبصار، وللنطق والبيان، كما قال عز من قائل: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"(٥)، وقال ﷻ: "خَلَقَ الْإِنْسَانَ.عَلَّمَهُ الْبَيَانَ"(٦)، ثم ميزه الله بالعقل والفطرة القويمة التي يميز بها بين الخير والشر، الحق والباطل، النافع والضار، قال ﷻ: "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"(٧) وأنعم الله عليه بكل النعم والأغذية التي بها قوامه وحياته، من ثمار وفواكه وأنعام وغيرها، ولم يحرم عليه منها إلا ما فيه ضرره، قال ﷻ: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ"(٨).

---

(١) سورة الجاثية، الآية ١٣
(٢) سورة غافر، الآية ٦٤
(٣) سورة التين، الآية ٤
(٤) سورة الانفطار، الآية ٦ - ٨
(٥) سورة النحل، الآية ٧٨
(٦) سورة الرحمن، الآيتان ٣، ٤
(٧) سورة البلد، الآية ١٠
(٨) سورة الأعراف، الآية ٣٢

وقد أمر الإسلام بحفظ النفس وألا تورد موارد الهلاك، فلا يقدم الإنسان على إزهاق روحه، ولا روح غيره، قال ﷻ: "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ"(١)، وقال ﷻ: "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا"(٢)، وقال ﷻ: "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ"(٣).

كما حرم عليه أشياء حفظاً لصحته، ومن ذلك تحريم الميتة والخبائث، قال ﷻ: "وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ"(٤) وقال ﷻ: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ.."(٥)، بل وضع الرسول قاعدة أصيلة في حفظ الصحة، مفادها: أن كل ما فيه إضرار بالصحة فهو حرام، فقال رسول الله ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار"(٦).

كما نهى الإنسان عن الإسراف في الطعام والشراب؛ لأنها مظنة الإضرار بالصحة، وإلحاق المرض بالإنسان، قال ﷻ: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"(٧)، بل نهى عن الإسراف في كل شيء حتى في الوضوء، وحث على القصد في كل شيء، في المشي، والكلام وغيرهما، فقال ﷻ: "وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"(٨).

وكذلك شرع له من الأمور ما بها يتطهر جسده، ويحسن مظهره، ويطيب شكله، ومن ذلك تشريع الوضوء والغسل، قال ﷻ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا.."(٩)، وجعل ذلك قربة يثاب عليها، بالرغم من أنها تنفع وتفيده، قال ﷻ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"(١٠).

وحين نتأمل الوضوء نجده يتوجه إلى سائر أعضاء الجسم بالطهارة والنظافة، من رأس الإنسان إلى قدميه؛ من المضمضمةوالاستنشاق..إلخ، وكذلك الغسل يعمم سائر البدن بالطهارة والتنظيف، مع التوجيه المؤكد إلى نظافة ثوبه والمكان الذي يتواجد فيه لإقامة شعائر دينه، من صلاة أو ذكر، قال ﷻ: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ"(١١).

وقد أرشدت السنة المطهرة إلى صور من الزينة والجمال؛ عناية بالإنسان في هيئته ومظهره، ومن ذلك قوله ﷺ: (مَن كان له شعر فليكرمه)(١٢)، وقولهﷺ(اكتحلوا بالإثمد؛ فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر)(١٣) وقولهﷺ: (إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم ولباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة فإن الله ﷻ لا يحب الفحش ولا المتفحش)(١٤) وقولهﷺ: (لاَ يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيُحْفِهِمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا)(١٥)، وقولهﷺ:

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٥
(٢) سورة النساء، الآية ٢٩
(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥١
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٧
(٥) سورة المائدة، الآية ٣
(٦) سنن ابن ماجه ج٢صـ٧٨٤، وصححه الألباني
(٧) سورة الأعراف، الآية ٣١
(٨) سورة لقمان، الآية ١٩
(٩) سورة المائدة، الآية ٦
(١٠) سورة البقرة ٢٢٢
(١١) سورة الأعراف، الآية ٣١
(١٢) سنن أبي داوود ج٤صـ٧٦، وصححه الألباني
(١٣) سنن ابن ماجه ج٢صـ١١٥٦، وصححه الألباني
(١٤) مسند أحمد ج٢٩ صـ١٦٤

(أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: الْحَيَاءُ، وَالتَّعَطُّرُ، وَالسِّوَاكُ، وَالنِّكَاحُ)(3)، وقوله ﷺ: (زينوا القرآن بأصواتكم)(4). كما أرشده إلى قص الأظافر، وحلق العانة ونحوها، وتلك هي سنن الفطرة التي أرشد إليها ديننا الحنيف، والتي جاءت بها السنة المطهرة التي هي وحي من الله لنبيه حيث قال ﷺ: (خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ)(5).

ثانياً: توجيهات الإسلام للإنسان بالسمو بالروح والالتزام بالخلق القويم

لقد وجّه الإسلامُ الإنسانَ وحثّه على أن يكون جميلاً في أخلاقه وأفعاله وأقواله، ونذكر هنا على سبيل الإجمال جملة من الفضائل والأخلاق الجميلة التي دعا إليها الإسلام وحث على التحلي بها، مع جملة من القبائح والرذائل التي نفّر الإسلام منها ونهى عنها:

- الإخلاص لله بالتوحيد وتجنب الشرك: حيث أمر الإسلام بتوحيد العبادة لله، ونهى عن الشرك به، قال ﷻ: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ.."(6)، وقال ﷻ: "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ"(7).

- الأمر ببر الوالدين: وقد عطف الله حقهما على حقه؛ تعظيما لشأنهما فقال ﷻ: " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا "(8).

- الأمر بصلة الرحم، والنهى عن القطيعة: قال ﷻ: "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى.."(9)، وقال ﷻ: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ"(10).

- الحثّ على الدفع بالكلمة الطيبة، والإقبال على العمل الصالح: حيث ضرب الله تعالى مثلاً للكلمة الطيبة بالشجرة المثمرة النافعة، فقال ﷻ: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ"(11)، قال ابن عباس والجمهور: هى قول لا إله إلا الله، وقيل: دعوة الإسلام والقرآن عموماً، وقيل: كل كلمة حسنة وأمر المعروف أو نهي عن منكر، وعلى كل حال فإن الإسلام ليدعو إلى إحسان المنطق، وإيثار الكلمة الطيبة والقول الحسن، وقد تأكد هذا الأمر بوروده غير مرة في آيات الذكر الحكيم، ومن ذلك قوله ﷻ: " وقولوا لِلنَّاسِ حُسْنًا"(12)، وقال ﷻ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا"(13)، وقال ﷻ: " وقولوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا"(14)، كما حث سبحانه على العمل الصالح، وعظم أجره، مهما كانت ضآلته، فقال ﷻ: "وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"(15)، وليس من عمل أعظم من الدعوة إلى الله، قال ﷻ: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ

---

(1) صحيح البخاري ج٧ صـ١٥٤
(2) سنن الترمذي ج٣صـ٣٨٣، وضعفه الألباني
(3) صحيح البخاري ج٩صـ١٥٨
(4) صحيح البخاري ج٧صـ١٦٠
(5) سورة البينة، الآية ٥
(6) سورة النساء، الآية ٣٦
(7) سورة الإسراء، الآية ٢٣
(8) سورة النساء، الآية ٣٦
(9) سورة محمد، الآية ٢٢
(10) سورة إبراهيم، الآية ٢٤
(11) سورة البقرة، الآية ٨٣
(12) سورة الأحزاب، الآية ٧٠
(13) سورة النساء، الآية ٥
(14) سورة التوبة، الآية ١٢١

إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"(١).

- الأمر بالتواصي بالحق والصبر والمرحمة، وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيث قال ﷻ: "وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ"(٢)، وقوله ﷻ: "وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ"(٣)، وقوله: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ"(٤).

- الإرشاد إلى الصبر الجميل: فقد أمر الله الإنسانَ بالصبر الجميل، فقال ﷻ: "فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا"(٥)، قال في الطبري: " إن الصبر الجميل"، هو الصبر الذي لا جزع فيه(٦).

- الهجر الجميل: وجّه الإسلام المسلم إن هو اضطر إلى الهجر أن يكون هجره جميلا فقال ﷻ (واهجرهم هجرا جميلا)، قال الماوردي فيه ثلاثة أوجه: أحدها: (فاصفح عنهم وقل سلام)، قاله ابن جريج، الثاني: أن يعرض عن سفههم ويريهم صغر عداوتهم، الثالث: أنه الهجر الخالي من ذم وإساءة(٧).

- الأمر بالعفو والصفح الجميل: قال ﷻ: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"(٨)، وقوله ﷻ: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"(٩)حيث ينبغي أن يتحلى المسلم بالأسلوب الحسن عند الغضب ونحوه، وقوله ﷻ: "فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ"(١٠). قال الماوردي: فيه أربعة أوجه: أحدها: أنه الإعراض من غير جزع. الثاني: أنه صفح المنكر عليهم بكفرهم ، المقيم على وعظهم ، قاله ابن بحر. الثالث: أنه العفو عنهم بغير توبيخ ولا تعنيف. الرابع: أنه الرضا بغير عتاب ، قاله علي بن أبي طالب(١١).

- السراح الجميل: وهو من جميل ما دعا إليه الدين؛ حيث وجه الزوج إن أصر على الطلاق أن يكون طلاقه منزها عن الشدة والقسوة وسوء الأخلاق، قال ﷻ: "فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا"(١٢)، وقال الله ﷻ: "فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً"(١٣).

قال الماتريدي قَالَ بَعْضُهُمْ: السراح الجميل: هو أن يمتعها إذا سرحها.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: السراح الجميل: هو أن يبذل لها الصداق(١٤).

وقال الآلوسي في روح المعاني: «السراح الجميل» هو الطلاق تتبعه عشرة حسنة وكلمة طيبة دون مشادة ولا

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٣
(٢) سورة العصر الآيات ١: ٣
(٣) سورة البلد، الآية ١٧
(٤) سورة آل عمران، الآية ١١٠
(٥) سورة المعارج، الآية ٥
(٦) جامع البيان للطبري ج١٥صـ٥٨٤
(٧) تفسير الماوردي ج٦صـ١٢٩
(٨) سورة آل عمران الآيتان ١٣٣، ١٣٤
(٩) سورة فصلت، الآية ٣٤
(١٠) سورة الحجر. الآية ٨٥
(١١) تفسير الماوردي ج٣صـ١٧٠
(١٢) سورة الأحزاب. الآية ٢٨
(١٣) سورة الأحزاب. الآية ٤٩
(١٤) تأويلات أهل السنة ج٨صـ٤٠٠

أذى(١)، وقال المنتصر الكتاني: السراح الجميل: هو الطلاق بلا كلمة مؤذية ولا صخب ولا نزاع ولا مرافعات للمحاكم(٢).

- الأمر بالتواضع والنهي عن الكبر: قال ﷻ: "وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا"(٣).

- الحث على العدل والإنصاف: قال ﷻ: "وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"(٤).

- الدعوة إلى الشجاعة: أمرنا الله سبحانه وتعالى بالشجاعة والثبات عند ملاقاة العدو، ونهانا عن الفرار والجبن فقال ﷻ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"(٥)، وقال ﷻ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"(٦).

- الأمر بالأمانة: قال ﷻ: "وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ"(٧)، وصف الله تعالى المؤمنين الصالحين الذين كتب الله سبحانه لهم الفلاح والرشاد في الدنيا والآخرة بأنهم يرعون أماناتهم ويؤدونها حق الأداء، وقد أمرنا الله تعالى بأداء الأمانات فقال ﷻ: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا"(٨).

- الأمر بالصدق والنهي عن الكذب: قال الله ﷻ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ"(٩)، وقال سبحانه: "..وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ"(١٠).

- الدعوة إلى حسن النظر والتفكير وإعمال العقل: لقد كرم الدينُ الإسلامي العقل وأمرنا بالتفكر والتدبر، قال ﷻ "أَفَلَا تَعْقِلُونَ"(١١)وقال ﷻ: "أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"(١٢)، وأثنى على العقلاء وأولي الألباب، فقال تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ"(١٣)، وعن علي ﷺ: (لا جمال أحسن من العقل).

- الأمر بتوفية المكيال والنهي عن التطفيف: قال ﷻ: "فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ.."، وقال ﷻ: "وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ.الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ.وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ"(١٤)ﷻ: "وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ"(١٥).

- النهي عن الإفساد في الأرض: قال ﷻ: "وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ"(١٦)، وقال ﷻ: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤صـ٣٩٠
(٢) تفسير المنتصر الكتاني ج٦ ٢٠صـ٣
(٣) سورة الإسراء، الآية ٣٧
(٤) سورة الأنعام، الآية ١٥٢
(٥) سورة الأنفال، الآية ١٦
(٦) سورة الأنفال، الآية ٤٥
(٧) سورة المؤمنون، الآية ٨
(٨) سورة النساء، الآية ٥٨
(٩) سورة التوبة، الآية ١١٩
(١٠) سورة البقرة، الآية ١٠
(١١) سورة البقرة، الآية ٤٤
(١٢) سورة يونس، الآية ٣
(١٣) سورة الزمر، الآية ٢١
(١٤) سورة المطففين الآيات ١: ٣
(١٥) سورة الأعراف، الآية ٨٥
(١٦) سورة الأعراف، الآية ١٤٢

إِصْلَاحِهَا"(١).

- النهي عن أكل الربا: قال ﷻ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"(٢).

- الأمر بغض البصر: قال ﷻ: " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ "(٣).

- النهي عن القرب من الزنا: قال ﷻ: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا"(٤).

- النهي عن قذف المحصنات: قال ﷻ: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. إِلَّاالَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"(٥).

- النهي عن السرقة: قال ﷻ: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ.."(٦).

- النهي عن الغيبة: قال ﷻ: "وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ"(٧).

- النهي عن السخرية: قال ﷻ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ"(٨).

- النهي عن سوء الظن: قال ﷻ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ"(٩).

- النهي عن التجسس: قال ﷻ: "وَلا تَجَسَّسُوا"(١٠).

- النهي عن التنابز بالألقاب: قال ﷻ: "وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"(١١).

- النهي عن السؤال فيما لا يعنيه: قال ﷻ: "ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء إن تُبْدَ لكم تَسُؤْكم"(١٢).

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٦
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٨
(٣) سورة النور الآيتان ٣٠، ٣١
(٤) سورة الإسراء، الآية ٣٢
(٥) سورة النور الآيتان ٤، ٥
(٦) سورة المائدة، الآية ٣٨
(٧) سورة الحجرات، الآية ١٢
(٨) سورة الحجرات، الآية ١١
(٩) سورة الحجرات، الآية ١٢
(١٠) سورة الحجرات، الآية ١٢
(١١) سورة الحجرات، الآية ١١
(١٢) سورة المائدة، الآية ١٠١

الخاتمة

قد يتصور الإنسان أن أساس حديث القرآن عن عامة الأشياء يتركز حول الغرض الأساس من الخلق، وأن مجمل اهتمامه وعنايته ينصب على الوظيفة الحيوية؛ دون الالتفات إلى غير هذا من وظائف ثانوية، لكن القرآن يعلمنا حين يركز بجانب اهتمامه بالوظيفة الحيوية الأساس على عنايته واهتمامه بوظائف أخرى، كالهيئة والمنظر، والشكل والمظهر، أو قل: لمسة الروعة والجمال، والدقة والإبداع التي تضفي على الصنعة والخَلق الحسن والرونق والبهاء.

لذلك فحين تقرأ في القرآن عن خلق السماء فاقرأ: "زيناها للناظرين" بجانب: "وجعلنا السماء سقفا محفوظا" وحين تقرأ عن خلق الأرض فاقرأ "إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها.." مع "ألم نجعل الأرض مهادا" وحين تقرأ عن الأنعام: "جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" فاقرأ أيضا: "ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون" حين تقرأ: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها" فتأمل ما بعدها من قوله الكريم: "وزينة" وإذا قرأت عن ثقل الجبال فاقرأ كذلك عن أنواعها "وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا" اقرأ عن ألوان الجبال مع قوتها وعن النبات النضيد بجانب قيمته الغذائية.

إنهذا البحث المتواضع هو دعوة للنظر إلى الإسلام نظرة شاملة؛ لا النظر بعين واحدة، تبصر جانباً وتعمى عن كثير، إننا اليوم نتحدث عن دين الإسلام، الذي هو:

- دين التوحيد الخالص، والوحي الصادق، والمنهج الفريد الذي يهدي إلى الحقوإلى طريق مستقيم.
- دين نزلت بعض آياته تنصف يهوديا حكم عليه بالسرقة ولم يكن سارقاً.
- دين ينهى عن الخيانة حتى مع الأعداء "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ".
- دين يحكم أن يؤخذ مفتاح الكعبة بيت الله من يد نبي الله وأتباعه فيرد في يد رجل مشرك مؤتمن عليه.
- دين قبل أن يعاقب يسمح لامرأة مخطئة أن ترجع لتضع جنينها، ثم يردها سنتين أخريين كي ترضعه حيث لا ذنب له.
- دين الجمَال والتميز، فيعنى بشكل الإنسان ونظافته ونقائه وبمظهره وهندامه فيوجه نبي الإسلام أتباعه أن يكونوا بين الناس شامة.
- دين يدعو إلى النظافة والطهر بالوضوء والغسل والسواك والطيب...إلخ.
- دين يدعو إلى الطهارة من الذنوب ومن الشح والبخل والغش والأحقاد والبغضاء.
- دين الجمَال والعطف والحنان والرقة والعذوبة والسماحة والسلام فيرعى الوفاء ويوقر الكبير ويرحم الصغير.
- دين يدعو إلى عمارة الكون وينهى عن إفساد الأرض بعد إصلاحها، بل ينهى عن قطع شجرة يستظل بها الناس.
- دين يحث على المسلم أن يصبر"صَبْرًا جَمِيلًا" وإن هجر فليكن"هَجْرًا جَمِيلًا" وأن يكون صفحه عن المسيئين هو"الصَّفْحَ الْجَمِيلَ"، بل حتى دعاه إن اضطر إلى طلاق زوجه فليكن"سَرَاحًا جَمِيلًا".
- دين يوجه أتباعه إلى أن يفشوا السلام بينهم ويجعل تحيتهم تحية"مُبَارَكَةً طَيِّبَةً" ويعد المؤمن في الدنيا أن يحيا"حَيَاةً طَيِّبَةً" وفي الآخرة "مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ".

إنها مواقف ولقطات من دين الله واضحة في رسم صورة عظيمة أو قل: جميلة لهذا الدين تجعل منه

المنهج الأمثل للبشرية بلا شك أو خلاف.

إن هذا الدين جميل في كل أحكامه وتشريعاته، وأعني بالجمال هنا يسره ومرونته وكون هذه الأحكام في حدود طاقة الإنسان وإمكانياته"لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" وحين يضيق الإنسان جهدا أو وقتا أو نحوه نجد الشرع الحكيم يعطيه رخصة الجمع والقصر، وحين يعجز عن القيام ببعض التكاليف يسقطها عنه أو يستبدلها بما في الوسع والطاقة.

إن مجال التشريعات الإسلامية هو التطبيق العملي لمظاهر الجمال التي تتعلق بالمعاملات مع جميع الناس حتى غير المسلمين.

إنه دين واضح في كل أمره، ليس فيه أسرار تجعل المسلم يخجل من كشفها، أو يناله الحرج أو الخزي من انتشارها.

ألا فليتبنه المسلمون إلى أن دينهم العظيم يتميز بكونه جامعاً بين العزائم والرخص، بين الترغيب والترهيب، بين العقوبة والثواب، بين النذارة والبشارة، بين العفو والمؤاخذة.

فهذا هو ديننا الجميل ..

المراجع

م	المرجع	المؤلف	الطبعة
١	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القُرآن الكَرِيم	أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)	دار إحياء التراث العربي/بيروت
٢	أسرار التكرار في القرآن	محمود بن حمزة الكرماني (ت٣٧٠هـ)	دار الاعتصام. القاهرة١٣٩٦هـ
٣	أسرار ترتيب القرآن	الحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)	دار الاعتصام. القاهرة١٣٩٦هـ
٤	أضواء البيان في إيضاح القُرآن بالقرآن	محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)	دار الفكر للطباعة. بيروت١٤١٥هـ
٥	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد (ت٦٩١هـ)	دار الفكر/بيروت
٦	بحر العلوم	أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت)	دار الفكر/بيروت
٧	البداية في التفسير الموضوعي	عبد الحي الفرماوي ت:١٩٧٧	مكتبةالرشد.ط. الثانية ١٩٧٦م
٨	البرهان في علوم القرآن	أبو عبد الله محمد الزركشي (ت٧٩٤هـ)	دار المعرفة. بيروت١٣٩١هـ
٩	بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز	أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي(٧٢٩ - ٨١٧ هـ)	المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ٢٠٠٠م
١٠	التبيان في إعراب القرآن	أبو البقاء العكبري (ت٥٣٨هـ)	إحياء الكتب العربية. القاهرة١٩٩٢م
١١	التحرير والتنوير في تفسير القُرآن	الشيخ محمد الطاهر عاشورالمتوفى : ١٣٩٣هـ	مؤسسة التاريخ العربي بيروت١٤٢٠هـ
١٢	التسهيل لعلوم التنزيل	محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت٧٤١هـ)	دار الكتاب العربي/لبنان١٤٠٣هـ
٢٦	تفسير الجلالين	جلال الدين المحلي/ وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)	دار الحديث/القاهرة
١٣	تفسير الشعراوي	محمد متولي الشعراوي (١٣٢٩ - ١٤١٩هـ).	مطابع أخبار اليوم
١٤	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)	محمد رشيد علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م
١٥	تفسير القُرآن العزيز	عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)	مكتبة الرشد/الرياض١٤١٠هـ
١٦	تفسير القُرآن العظيم	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)	دار الفكر/بيروت١٤٠١هـ
١٧	التفسير الكبير [مفاتيح الغيب]	فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي (ت٦٠٤هـ)	دار الكتب العلمية/بيروت١٤٢١هـ
١٨	تفسير المراغي	أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)	شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي١٩٤٦ م
١٩	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج	د وهبة بن مصطفى الزحيلي (معاصر)	دارالفكر المعاصر.دمشق.ط.٢: ١٤١٨ هـ
٢٠	التفسير الموضوعي	زيد عمر عبد الله العيص	مكتبة الرشد .ط. الأولى ١٤٢٦ه
٢١	التفسير الموضوعي	محمد السيد عوض (معاصر)	مكتبةالرشد.ط. الأولى ٢٠٠٥ه
٢٢	التفسير الوسيط	محمد سيد طنطاوي المتوفى : ١٤٣١هـ	مطبعة السعادة ١٤١٠ه
٢٣	تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير كلام المنان	عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى ١٣٧٦هـ	مؤسسة الرسالة/بيروت١٤٢١هـ
٢٤	جامع البيان عن تأويل آي القُرآن	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)	دار الفكر/بيروت١٤٠٥هـ
٢٥	الجامع لأحكام القُرآن	أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)	دار الشعب/القاهرة١٣٧٢هـ
٢٧	الجواهر الحسان في تفسير القُرآن	عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت: ٨٧٦هـ	مؤسسة الأعلمي/بيروت١٤١٦هـ
٢٨	الدر المنثور في التفسير بالمأثور	عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)	دار الفكر/بيروت١٩٩٣م
٢٩	روح المعاني في تفسير القُرآن العظيم والسبع المثاني	أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)	دار إحياء التراث العربي/بيروت١٤٠٤هـ
٣٠	زاد المسير في علم التفسير	أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)	المكتب الإسلامي/بيروت١٤٠٤هـ
٣١	زهرة التفاسير	محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)	دار الفكر العربي
٣٢	السنن الكبرى للبيهقي	الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)	مكتبة الدار بالمدينة المنورة١٤١٠هـ
٣٣	سنن النسائي	الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)	دار الكتب العلمية بيروت١٤١١هـ
٣٤	شرح معاني الآثار	أحمد بن محمد المصري الحنفي ت: ٣٢١ ه	دار الكتبالعلمية.ط. الثالثة ١٤١٦ ه
٣٥	صحيح مسلم بشرح النووي	محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي ت:٦٧٦هـ	دار إحياء التراث العربي - بيروت
٣٦	فتح الباري شرح صحيح البخاري	ابن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢هـ	دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩
٣٧	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير	محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)	دار الفكر/بيروت١٩٩٢م
٣٨	في ظلال القرآن	سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (١٣٢٤ - ١٣٨٥هـ)	دار الشروق .بيروت.ط.١٧: ١٤١٢ هـ
٣٩	فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن	توفيق علوان (معاصر)	مكتبةالرشد.ط. الأولى ٢٠٠٤ه
٤٠	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل	أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)	دار إحياء التراث العربي/بيروت
٤١	لباب النقول في أسباب النزول	الحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)	دار إحياء العلوم. بيروت١٤١٣هـ
٤٢	لسان العرب	محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)	دار صادر. بيروت١٩٧١م
٤٣	مباحث في التفسير الموضوعي	مصطفى مسلم (معاصر)	دار القلم.دمشق.ط. الرابعة ٢٠٠٥ه
٤٤	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)	دار الكتب العلمية/لبنان١٤١٣هـ
٤٥	مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر الرازي (ت٧٢١هـ)	مكتبة لبنان. بيروت١٤١٥هـ
٤٦	مدارك التنزيل وحقائق التأويل	أبو البركات النسفي (ت٦٧١هـ)	دار الشعب. القاهرة١٣٧٢هـ